

نحو استقامة
فكرية
وحياتية



د / صيغين بن محمد الصيغين

نحو استقامةٍ فكريةٍ وحياتيةٍ



الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة



نحو استقامةٍ فكريةٍ وحياتيةٍ

د. صغير بن محمد الصغير

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه

وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه)

مقدمة في طرق إغواء شياطين الإنس والجن للمسلم:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لانحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه .. والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبدالله، ماترك خيراً إلا دلاً أمته عليه، ولا شراً إلا حذراً أمته منه، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم نلقاه .. وبعد /

فأسأل الله لي و لك - أيها القارئ الكريم - التقوى والإخلاص، فمن اتقى الله وقاه، ومن أخلص العمل لله أنجاه، كما أسأله سبحانه القول السديد والفعل الرشيد، وأستعيذ به سبحانه من كل شيطان وهامة ومن كل فتنة ومفتون، ومن كل ضال ومضل.

إنّ المتأمل في تاريخ المسلمين وحاضرهم، يُدرك سنة كونية أخبر الله عنها في كتابه هي سنة الصراع بين الحق والباطل، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(١)، وصدق القائل: لولا الصراع بين الحق والباطل لم يقيم علم الجهاد، ولم تخلق النار وبئس المهاد، وما وجدت الجنة لخير العباد، ولما نودي يوم التناد:

(١) سورة الأنعام: ١١٢



نحو استقامة فكرية وحياتية



﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(١). وجيء بالأشهاد. وهكذا حال بني آدم إلى يوم الدين.

ومن طرق إغواء شياطين الإنس والجن للمسلم كي يصطف مع الباطل أو جزء منه، شَعْرُ أم لم يشعر.. طريقان رئيسان :

الطريق الأول : هو طريق الشهوات والملذات .. يساعدهم في ذلك النفس الأمارة بالسوء، ولذا نجد النبي ﷺ محذراً من هذا الطريق الخطر على دين المرء وسلوكه وخلقه .. ومبشراً للمبتعد عنه بقوله عليه الصلاة والسلام: «حُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ...»^(٢)؛ أي فكأنه أخبر ﷺ أنه لا يوصل إلى الجنة إلا بتخطي المكاره، وكذلك الشهوات وما تميل إليه النفوس، وأن اتباع الشهوات يلقي في النار ويدخلها، فإنه لا ينجو منها إلا من تجنب الشهوات وفيه تنبيه على اجتنابها^(٣)، وإذا علم هذا فإن النفس الأمارة بالسوء تميل إلى البطالة والدعة، ويثقل عليها الحق والانقياد له؛ لما جبلت عليه من الظلم والجهل، ولا ينجو من هذا إلا من نجاه الله تعالى، وألهمه رشده، فعلى العبد أن يجاهد نفسه الأمارة بالسوء، ويعودها ترك الباطل، ومحبة الحق، والإقبال عليه حتى يصير ذلك لها سجية وعادة، فيؤدي الحق سماحة لا كظماً، وطواعية لا كرهاً، وحينئذ يحصل له الالتذاذ بطاعة الله تعالى والأنس بذلك أعظم بمرات مما يلتذ أهل الشهوات بشهواتهم ..

(١) سورة الشورى: ٧

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب التعبير باب حجب النار بالشهوات ج ٨ ص ١٠٢ حديث رقم ٦٤٨٧. ورواه مسلم بلفظ: حفت.. كتاب الجنة ونعيمها ووصف أهلها ج ٤ ص ٢١٧٤ حديث رقم ٢٨٢٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ص ٦٧. دار الفكر ط: ١٤١٥هـ.



قال ابن القيم رحمه الله: اجعل هذه المعاملة منك صادرة عن سماحة وطيبة نفس وانسراح صدر، لا عن كظم وضيق ومصابرة، فإن ذلك دليل على أن هذا ليس في خلقك، وإنما هو تكلف يوشك أن يزول ويظهر حكم الخلق صريحا ففتضح، وليس المقصود إلا إصلاح الباطن والسر والقلب، وهذا الذي قاله الشيخ - يعني الهروي رحمه الله - : لا يمكن إلا بعد العبور على جسر المصابرة والكظم، فإذا تمكن منه أفضى به إلى هذه المنزلة - بعون الله ^(١).

وقال أيضاً: المحب يتلذذ بخدمة محبوبه وتصرفه في طاعته، وكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة الطاعة والخدمة أكمل، فليزن العبد إيمانه ومحبه لله بهذا الميزان، ولينظر هل هو ملتذ بخدمة محبوبه، أو متكره لها يأتي بها على السامة والملل والكراهة؟! فهذا محك إيمان العبد ومحبه لله، قال بعض السلف: إني أدخل في الصلاة فأحمل هم خروجي منها ويضيق صدري إذا فرغت أني خارج منها، ولهذا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «جعلت قره عيني في الصلاة» ^(٢) - ومن كانت قره عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه، فإن قره عين العبد نعيمه وطيب حياته به، وقال بعض السلف: إني لأفرح بالليل حين يقبل، لما يلتذ به عيشي وتقر به عيني من مناجاة من أحب وخلوتي بخدمته والتذلل بين يديه، وأغتم للفجر إذا طلع، لما أشتغل به بالنهار عن ذلك، فلا شيء ألد للمحب من خدمة محبوبه وطاعته، وقال بعضهم: تعذبت بالصلاة عشرين سنة ثم تنعمت بها عشرين سنة، وهذه اللذة والتنعم بالخدمة إنما تحصل بالمصابرة والتعب أولاً، فإذا صبر عليه وصدق في صبره أفضى به إلى

(١) مدارج السالكين لابن القيم ج ٢ ص ٣٤٦. دار الكتاب العربي.

(٢) رواه النسائي في سننه باب حب النساء ج ٧ ص ٦١ حديث رقم ٣٩٤٠.





هذه اللذة، قال أبو يزيد: سقت نفسي إلى الله وهي تبكي، فما زلت أسوقها حتى انساقت إليه وهي تضحك، ولا يزال السالك عرضة لآفات والفتور والانتكاس حتى يصل إلى هذه الحالة، فحينئذ يصير نعيمه في سيره، ولذته في اجتهاده، وعذابه في فتوره ووقوفه، فترى أشد الأشياء عليه ضياع شيء من وقته ووقوفه عن سيره. اهـ^(١).

الطريق الثاني: من طرق إغواء شياطين الإنس والجن: طريق الشبهات والتأويلات.

فإنه ما نشأت الفتن المدلهمة والتفرق في الأمة والضلال المبين إلا من هذا الطريق.. يقول ابن القيم رحمته الله في كلام نفيس: وَإِنَّمَا أُرِيقَتْ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْجَمَلِ وَصَفِينِ وَالْحَرَّةِ وَفِتْنَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهَلَمَّ جَرًّا بِالتَّأْوِيلِ... فَمَا أُمْتُحَنَ الْإِسْلَامُ بِمِحْنَةٍ قَطُّ إِلَّا وَسَبَبُهَا التَّأْوِيلُ؛ فَإِنَّ مِحْنَتَهُ إِذَا مِنْ الْمُتَأَوِّلِينَ، وَإِنَّمَا أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ بِسَبَبِ مَا ارْتَكَبُوا مِنْ التَّأْوِيلِ، وَخَالَفُوا ظَاهِرَ التَّنْزِيلِ، وَتَعَلَّلُوا بِالْأَبَاطِيلِ، فَمَا الَّذِي أَرَأَقَ دِمَاءَ بَنِي جَدِيمَةَ وَقَدْ أَسْلَمُوا غَيْرَ التَّأْوِيلِ حَتَّى رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَيْهِ وَتَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ مِنْ فِعْلِ الْمُتَأَوِّلِ بِقَتْلِهِمْ وَأَخَذِ أَمْوَالِهِمْ؟... وَمَا الَّذِي سَفَكَ دَمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا وَأَوْقَعَ الْأُمَّةَ فِيهَا أَوْقَعَهَا فِيهِ حَتَّى الْآنَ غَيْرَ التَّأْوِيلِ؟ وَمَا الَّذِي سَفَكَ دَمَ عَلِيِّ رضي الله عنه وَابْنِهِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ غَيْرَ التَّأْوِيلِ؟ وَمَا الَّذِي أَرَأَقَ دَمَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَأَصْحَابِهِ غَيْرَ التَّأْوِيلِ؟ وَمَا الَّذِي أَرَأَقَ دَمَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَحُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَادَاتِ الْأُمَّةِ غَيْرَ التَّأْوِيلِ؟ وَمَا الَّذِي أُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاءُ الْعَرَبِ فِي فِتْنَةِ أَبِي مُسْلِمٍ غَيْرَ التَّأْوِيلِ؟... وَمَا الَّذِي قَتَلَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ج ١ ص ٤٧٤ و٤٧٥.



نَصْرِ الْخُرَاعِيِّ وَخَلَدَ خَلْقًا مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي السُّجُونِ حَتَّى مَاتُوا غَيْرَ
التَّأْوِيلِ؟ وَمَا الَّذِي سَلَطَ سَيْفَ التَّتَارِ عَلَى دَارِ الْإِسْلَامِ حَتَّى رَدُّوا أَهْلَهَا
غَيْرَ التَّأْوِيلِ؟... اهـ^(١).

ومن أبين الأمثلة على ذلك عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل
علي عليه السلام؛ فإنه ما قتله إلا تديناً وحسبة، ومن قرأ سيرته عجب منها؛ إذ
كيف ينحرف هذا الانحراف الخطير حتى يرى أن من الدين قتل علي عليه السلام
وهو من السابقين إلى الإسلام، بل أول من أسلم من الصبيان، ومكانه
من الإسلام ليس يخفى على مسلم، وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة،
وزوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته.

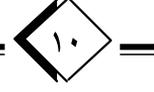
كل ذلك وغيره كثير يختفي ويتلاشى مع الشبهة الشيطانية التي لا تجد
علماً يدحضها، وتجد عملاً يسعى بصاحبها إليها حتى تتمكن من قلبه
فتفتك به، فيظن أنه يحسن صنعا، وقد وقع في أسوأ عمل.

كان ابن ملجم فارساً شجاعاً شارك في فتح مصر، وكان من العُباد
المتألهين، ومن قراء القرآن المشهورين، قرأه على معاذ بن جبل عليه السلام،
وكفى به تلميذاً للجبل ابن جبل، وبلغ من إتقانه حروف القرآن أن عمّر
عليه السلام كتب إلى عمرو بن العاص: أن قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من
المسجد ليُعلم الناس القرآن والفقهاء، فوسّع له مكان داره. كان ابن ملجم
يحمل قرآناً لا يفهم معانيه، وكان عمله أسرع من علمه، فليس له تمكن
من العلم يضبط عمله؛ فتمكنت منه الشبهة فتفتكت بقلبه، وأفسدت عليه
إيمانه، فعمد إلى أصلح الناس في زمنه فاستحل دمه.

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ج ٤ ص ١٩٣ دار الكتب العلمية.



نحو استقامة فكرية وحياتية



لتأمل أخي كيف فتكت الشبهة بقلب قارئ القرآن، حتى استحلت خيار أهل الأرض في زمنه، في شهر رمضان، في وقت السحر، وعلي ﷺ يؤدي طاعة فينادي على الناس يأمرهم بالصلاة، فما حجة قاتل علي ﷺ عند الله تعالى؟!

إنها الشبهة التي تغشى القلب فتحجبه عن الحق، وتعمي البصر عن رؤيته، وتغطي الأذن عن سماعه، فلا ينتفع بالقرآن ولو كان يقرؤه، ولا يكف يده عن الدم الحرام مع علمه بحرمته، بل تقلب الشبهة قلبه حتى يتقرب إلى الله تعالى بما يظنه صلاحاً وهو عين فساد، نعوذ بالله تعالى من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونسأله سبحانه العصمة من الشبهات والشهوات، والثبات على الحق إلى الممات^(١).

ولا شك أن الطريق الثاني (طريق الشبهات و التأويلات) أخطر من الأول (طريق الشهوات) _ على ما في الأول من خطورة _ ذلك أن المنغمس في الشبهات، يظن أنه ممن يحسنون صنعا قال الله: ﴿أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا...﴾^(٢).

ومن ذ الذي يأمن على نفسه إلا مفتون مخدوع.. زين له الشيطان سوء عمله وأغواه وأهلكه..

قال ابن القيم رحمته الله: وتحت قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾^(٣).. كنز عظيم من وفق لمظنته

(١) من ورقات كتبها الدكتور / ابراهيم الحقييل بعنوان (الهلاك بالشبهة في الدين) نشرتها مجلة البيان على موقعها.

(٢) سورة فاطر: ٨

(٣) سورة ابراهيم: ٢٧



وأحسن استخراجِه واقتناءه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله ﷺ ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(١). اهـ^(٢).

لأجل هذا كله شرعت بكتابة هذه الورقات تذكيراً لِنَفْسِي أولاً، ثم أبنائِي من بعدي حتى لا نقع فريسةً سهلةً لشياطين الإنس والجن، أو لمريديهم ونحن لانشعر.. أسأل الله الإعانة والتوفيق والإخلاص والصدق..

وقد رسمت خطتها على النحو التالي:

المبحث الأول/ مقدمة حول الفكر..

أ / مفهوم الفكر في اللغة والاصطلاح.

ب/ مفهوم الأمن في اللغة والاصطلاح

ج / الفرق بين الفكر و الثقافة والعلم.

د / مفهوم الأمن الفكري.

المبحث الثاني / الأمن الفكري كضرورة حياتية.

المبحث الثالث / أسباب الانحراف الفكري.

المبحث الرابع / فكر الابتداع في الدين.

المبحث الخامس/ فكر التطرف والغلو.

(١) سورة الإسراء: ٤٧

(٢) إعلام الموقعين ج ١ ص ١٣٦.

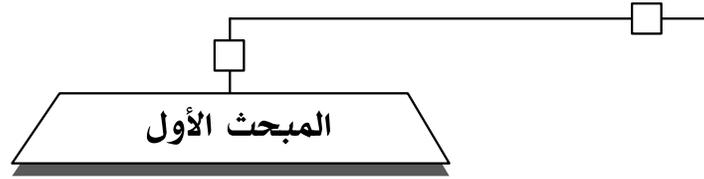


نحو استقامة فكرية وحياتية



- المبحث السادس / فكر الإرجاء
- المبحث السابع / فكر الإلحاد
- المبحث الثامن / أمثلة على قواعد فكرية منحرفة: تقديم العقل على النص. تتبع الرخص.
- المبحث التاسع / منهج السلف في تلقي الأمور الفكرية والعقدية.
- المبحث العاشر / عوامل تعزيز الأمن الفكري:
- أ/ الاعتصام بالكتب والسنة. تأصيل مفهوم طاعة ولي الأمر. و لزوم جماعة المسلمين.
- ب/ توطيد علاقة أفراد الأمة بعلمائها الربانيين
- ج/ تأصيل الفتوى.
- د/ تأصيل ضوابط حرية الرأي.
- هـ/ تأصيل مفهوم الجهاد الحق.
- المبحث الحادي عشر / وسائل الثبات على المنهج الفكري الصحيح.
- فما كان في ما كتبت من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله أسأل العفو والغفران..
- صغير بن محمد الصغير
salsoger@gmail.com





مقدمة حول الفكر..

أ / مفهوم الفكر في اللغة والاصطلاح.

الفكر في اللغة:

مادة الكلمة من: الفاء والكاف والراء. تدل على: تردد القلب في الشيء. والفكر: إعمال الخاطر في الشيء. يقال: تفكّر إذا ردد قلبه معتبراً. ورجل فكّير: كثير الفكر^(١).

الفكر في الاصطلاح:

الفكر كمصطلح _ يعتبر نوعاً ما مصطلحاً معاصراً _ وربما هذا هو السبب في تعدد تعاريفه..

فمن قائل: «الفِكرُ تَرْتِيبُ أُمُورٍ فِي الذَّهْنِ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَطْلُوبٍ؛ يَكُونُ عِلْمًا، أَوْ ظَنًّا...»، ومن قائل: «الفكر في المصطلح الفكري-والفلسفي خاصة - هو: الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات؛ أي

(١) انظر لسان العرب ج ١١ ص ٢١١ مختار الصحاح ج ١ ص ١٣٦ مادة (فكر).



النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم، ونحو ذلك. وهو كذلك المعقولات نفسها؛ أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري»^(١).

والمقصود به هنا: توجه الإنسان العقدي أو الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي، المبني على نتائج محصلة معادلة عقلية في الذهن، يكون لهذا التوجه غالباً ثمرة باختلاف نوعها إما سلبية وإما إيجابية، وتكون هذه الثمرة منتجة لفعل مؤثر على الشخص ذاته أو على غيره.

ب/ مفهوم الأمن في اللغة والاصطلاح

الأمن في اللغة:

مادة الكلمة من: الألف والميم والنون.. الأمن: ضد الخوف. والأمانة: ضد الخيانة. والإيمان: ضد الكفر. والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب. وقيل: هو سكون القلب واطمئنانه بعدم وجود مكروه وتوقعه^(٢).

الأمن في الاصطلاح:

هو قريب من المعنى اللغوي ومرتبطة به، ويمكن تعريف الأمن بالنظر إلى مقاصد الشرع بأنه: الحال التي يكون فيها الإنسان مطمئناً في نفسه، مستقراً في وطنه، سالماً من كل ما ينتقص دينه، أو عقله، أو عرضه، أو ماله.

فيشمل الأمن ظاهراً وباطناً، فهو أعمّ من التعبير بالشعور أو الإحساس. ويكون الإنسان مطمئناً في نفسه؛ لأنه يعبر عن سكون القلب وراحته،

(١) حقيقة الفكر الإسلامي د. عبد الرحمن الزبيدي، الطبعة الثانية (الرياض: دار المسلم ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م) ص ١٠، ورقة بحث منشورة على الشبكة ل د. إبراهيم بن عبدالله الزهراني.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ١٦٤ ومختار الصحاح للرازي ج ١ ص ٢٢، مادة (أمن).



فهو مشعر بالوثوق من توفر الأمن في الزمن الحاضر، وعدم توقع المكروه في الزمن المستقبل.

وهو كذلك يشير إلى الأمن النفسي، وإلى مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، وهو حفظ النفس.

ويكون الإنسان أيضاً مستقراً في وطنه؛ ليشمل جميع أنواع الأمن الداخلي، والسلامة من الاعتداء الخارجي.

و سالماً من كل ما ينتقص دينه أو عقله، أو عرضه، أو ماله، إشارة إلى مقاصد الشريعة الإسلامية الأخرى. فالتعريف بهذه التقييدات قد أبان عن أن الأمن لا يتحقق ما لم يكن هناك حفظ للضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها^(١).

ج / الفرق بين الفكر و بين الثقافة و العلم.

بالنظر فيما ذكره عددٌ من الكتاب في مجال الفكر والثقافة.. نجد أن منهم من لم يفرق بينهما (العلم والثقافة) كمفهوم.. وبعضهم فرّق فجعل العلم هو تخصص في فن معين، بخلاف الثقافة التي تأخذ من فن بطرف.. لكن أ. سميح الزين يقول: العلم هو المعرفة التي تؤخذ عن طريق الملاحظة و التجربة والاستنتاج، كعلم الطبيعة و علم الكيمياء و سائر العلوم التجريبية بخلاف الثقافة.. ويقول د أمين أبولاوي: أن الحكمة من التفريق بين الثقافة و العلم هي معرفة مايجوز أخذه من الأمم الأخرى وما لا يجوز، فالعلم نأخذ من غير المسلمين أما الثقافة فلا!!^(٢)

(١) من ورقة بعنوان الأمن الفكري لد الزهراني. منشورة عبر الشبكة.

(٢) انظر معلم الثقافة الإسلامية د. أمين أبولاوي ص ١٦



والمتمامل يجد: أن العلم والثقافة وجهان لعملة واحدة، وأما ما يجوز أخذه وما لا يجوز، فيضبط بضابط الشريعة، غير أن العلم قد يكون أشمل لتنوع الاختصاصات وأعمق فالعالم أرفع درجة معرفية من المثقف... وكل من العلم والثقافة ينتجان الفكر.. وهما الأساس بالنسبة له (للفكر) حسب تأثر صاحبهما بالمصادر التي أخذ منها علمه وثقافته..

د / مفهوم الأمن الفكري.

إن مصطلح الأمن الفكري مصطلح معاصر، ولذا فقد تنوعت فيه آراء الباحثين بحسب ما يرونه من ما يهدد الفكر من الاستقرار فيجعله مضطرباً، أو ينحى به طريقاً غير طريق المنهج الصحيح..

ولذا فنجد من يقول أن الأمن الفكري هو: «سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية، والاعتدال، في فهمه للأمور الدينية، والسياسية، وتصوره للكون بما يؤول به إلى الغلو والتنطع، أو إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة..».

وآخر يقول: «الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديداً للأمن الوطني أو أحد مقوماته الفكرية، والعقدية، والثقافية، والأخلاقية، والأمنية»^(١)..

وأياً كان التعريف فإن المقصود به هنا: هو سلامة توجهات المسلم

(١) انظر: الأمن الفكري: ماهيته ووضوابطه. د. عبد الرحمن اللويحق. ضمن كتاب الأمن الفكري. الطبعة الأولى. الرياض: جامعة نايف العربية، مركز الدراسات والبحوث ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م، والأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به. عبدالله بن عبد المحسن التركي. مكة المكرمة: مطابع رابطة العالم الإسلامي ١٤٢٣ هـ، وورقة بحث د الزهراني منشورة على الشبكة.



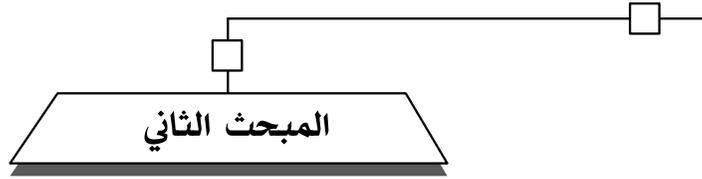
مقدمة حول الفكر

١٧

العقدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية حسب منهج أهل السنة والجماعة المبني على الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، بحيث تكون الوسيلة والنتيجة شاملة الاستقرار والسكينة والفوز والنجاح في الدنيا والآخرة.. وبحيث يصبح الأمن فكرياً، مؤثراً ومنتجاً لأمتة ووطنه ودينه. راضياً عن نفسه، وراضياً عنه ربه عز وجل.







الأمن الفكري كضرورة حياتية

لا يختلف عاقلان في ضرورة الأمن بشكل عام، ومن يجادل في ذلك فيشك في عقله العقلاء.. إذ الأمن هو النعمة التي لا يمكن أن تستقيم الحياة بغيرها. ولذلك امتنَّ الله بهذه النعمة على كفار قريش. قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾^(١). وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنْخَطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفْيَالًا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾^(٢).

وجعل الرسول ﷺ من توفر له الأمن كمن حيزت له الدنيا كلها، فقد أخرج الترمذي عن سلمة بن عبيد الله بن مخصن الخطمي عن أبيه وكانت له صُحبة - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»^(٣).

(١) سورة قريش: ٣ و ٤

(٢) سورة العنكبوت: ٦٧

(٣) رواه الترمذي في أبواب الزهد، باب في التوكل على الله برقم ٢٣٤٦ ج ٤ ص ٥٧٤، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٢٣١٧ ج ٥ ص ٤٠٨.



والأمن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بهذه الشريعة المباركة، وقد وعد الله عز وجل المؤمنين بالأمن في حياتهم وأخرتهم إذا آثروا الهدى على الضلال، والتقوى على المعصية، والحق على الباطل، فقد قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (١).

وقال جلّ وعلا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (٢).

فالأمن نعمة عظيمة - لا يعرف قدرها إلا من فقدتها-، وهو مطلب الناس أجمعين، ومما يدل على ذلك من نصوص الشرع، قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ (٣)؛ فإبراهيم عليه السلام سأل الله عز وجل أن يمن على مكة بالأمن والرزق، وقدم الأمن على الرزق، ذلك أن الرزق لا يكون له طعم ولا يستطيع المرء البحث عنه إذا فقد الأمن، فبالأمن يهنأ الإنسان ويشعر بلذة الشراب والطعام - فاستجاب الله لدعاء نبيه وخليله، وجعل من مكة مستقراً وبلدًا آمناً بإرادته ومشيئته، وجعلها وطناً للإسلام بعد اختياره للمصطفى ﷺ نبياً عربياً، وخاتماً لرسله من

(١) سورة النور: ٥٥

(٢) سورة الأنعام: ٨٢

(٣) سورة البقرة: ١٢٥



الأمّن الفكري كضرورة حياتية

٢١

صفوة خلقه، ليحمل رسالة الهدى للعالمين، ولتكون مكة مسقط رأسه، وذلك ببركة دعاء إبراهيم عليه السلام (١).

وموسى عليه السلام لما ألقى العصا - كما أمره ربه جل وعلا - ورأى أنها قد انقلبت إلى حية تسعى، ولّى مدبراً ولم يلتفت من شدة الخوف، فهو أحوج ما يكون في مثل هذه الحالة إلى الأمّن، فناداه ربه قائلاً: ﴿يَمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ سورة القصص: من الآية ٣١.

ونبينا صلى الله عليه وسلم لما منّ الله عليه بفتح مكة ذكر للناس ما ينالون به الأمّن - مما يدل على أهميته عند المؤمنين والكافرين - فقال عليه الصلاة والسلام: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن» (٢).

ولو تتبع المسلم نصوص الكتاب والسنة لعلم يقيناً أن الأمّن جزء لا يتجزأ من الإسلام، وهو ما أكدّه النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رضي الله عنه حين وفد عليه وعرض عليه الإسلام وطمأنه بالمستقبل المشرق للدعوة فقال صلى الله عليه وسلم: «.. يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا. قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيْنَ الطَّعِينَةَ تَرْتَجِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» (٣).

ولقد كتب الكثيرون عن السعادة.. فمنهم من قرنها بالمال، ومنهم من قرنها بالصحة، وقرر بعضهم أنها الحب، وقرر آخرون أنها راحة البال،

(١) نظم الأمّن لمحمد عبد العزيز: ص ٦، ٥، وورقة بحث د الزهراني في الشبكة.

(٢) السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٤٠١.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام ج ٣ ص ١٣١٦ رقم ٣٤٠٠



وأفتى آخرون بأنها اجتماع المال والصحة والحب وراحة البال !!
إلا أن الواقع يبين خطأ هذه النظريات، ويؤكد أن أول شرط ليدوق
الإنسان طعم الحياة الاجتماعية - أن يكون آمناً في مجتمعه، يستطيع تبادل
المنافع مع الناس بكل حرية وطمأنينة، بل إن سعادة الدنيا ونعيمها في
تحقيق الأمن قال ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده،
عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»^(١).

ولا يمكن لأفراد المجتمع أيضاً أن يحصّلوا المهارات، ويكتسبوا
المعارف، ويبلوروا مواهبهم، ويُنمّوا طاقاتهم إلا في ظلال الأمن الوارف.
فالأمن نعمة، واختلاله شرٌّ ونقمة، بل إن اختلاله يؤثر حتى في
العبادات - وهو الهدف الأول من خلق الإنسان -، ولهذا كانت صلاة
الخوف مختلفة عن صلاة الأمن في صفتها وهيئتها، والوضوء واستقبال
القبلة يسقطان عند وجود الخوف وذهاب الأمن، وتسقط بفقدانها - نعمة
الأمن - الجمعة والجماعة.

والحج كذلك يشترط في وجوبه على الإنسان أمن الطريق؛ فإذا كان
الطريق غير آمن فلا يجب عليه الحج، فالمفاسد الكثيرة المترتبة على
الاختلال الأمني هو الذي جعل بعض السلف يقول: «ستون سنة من إمام
جائر أصلح من ليلة بلا سلطان»، قال ابن تيمية معلّقاً: «والتجربة
تبين ذلك»^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ج ٢٢ ص ٦٠٩، ج ٢٨ ص ٣٩١، السياسة الشرعية
ص ٢١٧، الموضوع بالإضافة لما سبق مستفاد من الموقع الآتي:

<http://feqhweb.com/vb/showthrea>



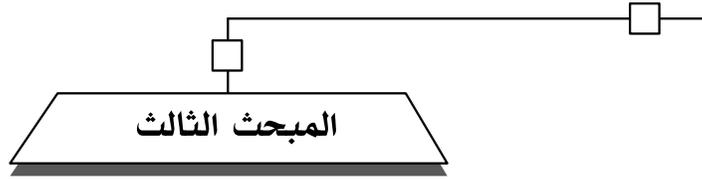
الأمن الفكري كضرورة حياتية

٢٣

والأمن الفكري هو جزء من منظومة الأمن بل هو أساسها، إذ ترتبط به ارتباطاً مباشراً فاختلال الأمن في أي بلد - أو حتى داخل أي إنسان وعدم سكينته واضطرابه - هو نتيجة فكره وما يعتقد ويتصوره ذلك الشخص المنعدم السكينة والأمن، فلا بد من إصلاح الخلل فيه من جميع جوانبه ومعرفة مكمّن الداء ثم بعد التشخيص يكون العلاج بإذن الله تعالى والوقاية من هذا المرض!!







أسباب الانحراف الفكري

هذا موضوع هامٌ أكتب فيه نتيجة استقراء لبعض ما كُتب، و من منظور الواقع أيضاً الذي نعيشه في تأمل أحوال أولئك المنحرفين فكرياً _ هداهم الله إلى الحق وكفى المسلمين شرورهم _ علماً بأنّ سبباً من هذه الأسباب كفيلاً بانحراف الإنسان إذا لم يحفظ بحفظ الله تعالى، فكيف لو اجتمع سببان أو أكثر أو اجتمعت كلها..؟! وللمعرفة سبيل التخلص منها و مدافعتها و الحذر من أن تؤثر... وأجد أنّ أهم الأسباب - وهي بشكل عام - ما يلي:

أولاً: الجهل: والجهل باختصار عدم معرفة الشيء.. هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه.

والجهل البسيط: هو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً، وقيل: انتفاء العلم بالمقصود بأن لم يدرك أصلاً.

الجهل المركب: هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، فهو مركب من جهلين جهل المدرك بما في الواقع، وجهله بأنه جاهل به



كاعتقاد الفيلسفي قدم العالم^(١).

فالجهد هو عدم العلم، كما أن عدم اتباع العلم والحق هو أيضا من الجهل.

أنواع الجهل:

والجهل على أنواع كما يقول الراغب الأصفهاني:

- الأول: وهو خلو النفس من العلم وهذا هو الأصل.

- والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

- والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا كمن يترك الصلاة متعمدا وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَننَّخِذْنَا هُزُوءًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَن أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)، فجعل فعل الهزو جهلاً، وقال -عز وجل-: ﴿فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٣).

والجاهل تارة يذكر على سبيل الذم وهو الأكثر، وتارة لا على سبيل الذم نحو قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ﴾^(٤)؛ أي: من لا يعرف حالهم، وليس يعني المتخصص بالجهل المذموم^(٥).

فالجهد من أسباب ضعف الإيمان، فكلما ازداد الإنسان معرفة، ازداد

(١) التعريفات للجرجاني ج ١ ص ١٠٨.

(٢) البقرة: ٦٧.

(٣) الحجرات: ٦.

(٤) البقرة: ٢٧٣.

(٥) مفردات القرآن: ج ١ ص ٢٧٤.



أسباب الانحراف الفكري

٢٧

معرفة بربه وبدينه، وما يجب عليه من العبادات والطاعات والأعمال الصالحات، والعكس صحيح، والجاهل معرض أيضاً للشبهات التي تززع الإيمان وتنقصه، والجاهل يرتكب الخرافات والبدع التي تهدم الدين، وتقوض أركان العقيدة، وما حصل للنصارى من تحريف للدين والتوراة والإتيان بالطامات الكبار من عقيدة التثليث وغيرها إلا بسبب الجهل، فالجهل من أسباب الانحراف والضلال، ومن هذا نعلم خطورة الجهل وضرره، ولذلك يقول أهل العلم: أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية ويقوى بالعمل ويضعف بالجهل، كما نقل عن الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله وغيره^(١).

وقد أمرنا المولى جل وعلا أن نسأله الهداية إلى الصراط المستقيم في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾^(٢)، وسؤال الهداية يتضمن معرفة الحق والتوفيق للعمل به، وهما ينافيان الجهل والهوى.

وبيّن سبحانه أن الصراط هو طريق الأنبياء الكرام، وأن مخالفهم من اليهود والنصارى قد تنكبوا عن الصراط المستقيم إما إتباعاً للهوى مع علمهم بالحق، وهؤلاء هم اليهود، وإما جهلاً منهم بالحق، فعبدوا الله على جهل، وهؤلاء هم الضالون من النصارى.

من خلال هذا ندرك عظم هذه آفاه وخطورها، ولهذا اعتبر الإمام الحسن البصري رحمته الله أن الجهل أشد من الفقر.. حيث يقول: لا فقر أشد

(١) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢٢٨.

(٢) الفاتحة ٦-٧



من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا عبادة كالتفكير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا ورع كالکف.

ومما يدل على خطورة الجهل وعظيم ضرره أن الجهل موت لصاحبه.. فالجاهل ميت القلب والروح، والعلم والإيمان حياة للقلوب من مرض الجهل، وقد قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾^(١).

ومن وصايا لقمان لأبنه أنه قال له يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل القطر^(٢).

والجهل الذي يقع فيه المنحرفون فكراً على أحوال:

إما جهل مظلم بالشريعة ونصوصها ودالاتها؛ فهو لا يعرف مثلاً أدلة توحيد الألوهية مطلقاً أو الأدلة على تحريم تحكيم غير الشريعة ونحو ذلك!!

وإما جهل في دلالتها ومقاصدها؛ فهو يعرف الدليل، ولكن ينحى به التأويل منحى بعيداً ليوافق ضلالته فينحرف به.. فهو يعرف مثلاً أدلة الحجاب ولكن يؤولها بأنها خاصة بنساء النبي ﷺ والأمثلة على هذا كثيرة، وهذا الصنف يغلب مع جهلهم اتباع الهوى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمِهِ﴾^(٣)، وهذا الصنف لا يقيم لكلام أهل العلم سلفاً

(١) الأنعام: ١٢٢

(٢) ما سبق مختصر من بحث للأستاذ خالد البعداني عن الجهل / جامعة الإيمان. منشور على الشبكة.

(٣) الجاثية: ٢٣



وخلفاً: وزناً، ويطير فرحاً إن وجد مؤلفاً وافق هوى نفسه.. ومن هذا الصنف من يقدم العقل على النقل، وليت شعري ما هذا العقل الذي قدّمه على النص المقدس من كتاب وسنة إنه عقله هو!! أو عقل ساقط مثله!! وهذه سأتناولها في مبحث خاص إن شاء الله تعالى..

وإمّا - وهذه الحالة الثالثة - وهي من الخطورة بمكان أن يكون عالماً بالشرعية ودلالالتها، ولكنه جاهلٌ جهلاً مركباً في كيفية تطبيقها على الوقائع، مغفل للشروط والأركان، فيتخبط في ذلك ويعوم تائهاً ظاناً أنه وجد الطريق عن جهل وحمق غالباً لا عن قصد بل ربما طالباً المثوبة والأجر والجنة.. وفي هؤلاء أخشى أن تشملهم الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبَّطُوا أَعْمَالَهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٥﴾ (١).

قال علي بن أبي طالب والضحاك وغير واحد: هم الحرورية - يعني: الخوارج-. ومعنى ماجاء عن علي رضي الله عنه: أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية، كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء، بل هي أعم من هذا؛ فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى، وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول؛ وهو مخطئ وعمله مردود، كما قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ (٢)، وقوله تعالى:

(١) الكهف: ١٠٣-١٠٥

(٢) الغاشية: ٢-٤



نحو استقامة فكرية وحياتية

٣٠

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (٢٣) ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ يَفِيغَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ (٢)(٣).

والعجيب في تأمل هذا الصنف: أنه يفتن فتنة عظيمة بالكلام في الأشخاص شذباً وقطعاً وسوء ظن، مُبتدأً بالحكام والعلماء في بلاد المسلمين، مختتماً بالجندي والحارس على أعراضهم وأموالهم، بل ربما وصل إلى أقرب أقربائه كأبيه وأخيه وكفرهم وذمهم أو عرض بذلك!! - وهم في الحقيقة أتقى وأنقى منه عند رب العالمين - مستدلاً بآية أو حديث جاهلاً في كيفية تطبيقها على واقع يعيشه^(٤).. فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ألا جعل المسلم العلم مناراً له... ألا جعل العلماء طريقاً للوصول إليه فهو الموقعون عن الله جل جلاله.. ألا حفظ المسلم نفسه من خصومات إخوانه يوم الفزع الأكبر.. ألا تذكر شكواهم لربهم على الصراط..

فلا تستغرب أخي القارئ عندما تجد شخصاً يحمل من العلم والقران ما يحمل ويحفظ ما يحفظ، ولكنه جاهل في التطبيق وأدواته وقد انحرف به المسار كما سبق الكلام عن ابن ملجم قديماً.

(١) الفرقان: ٢٣

(٢) النور: ٣٩

(٣) تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٢٠١، ٢٠٢

(٤) ومن أبسط الأمثلة أسأل أحدهم بعد إصداره حكماً بتكفير شخص معين لسبب معين عن معنى الإكراه وأنواعه، ومعنى الجهل كذلك وأحكامه، و تفاصيل الوقائع ذاتها فستجد عنده اضطراباً وتحيراً.. فقل له حينئذ: ماذا لو حاجك هذا الذي كفرته أمام الله عز وجل ماذا ستقول له!!



أسباب الانحراف الفكري

٣١

ثانياً: اتباع الهوى وإرواء الشعور النفسي بالنقص: وهذان متلازمان أعني _ اتباع الهوى و الشعور النفسي بالنقص _ فعندما يشعر المنحرف بشعور النقص _ غالباً يتبع هواه ولا يعني هذا أن كل من اتبع هواه شعر بالنقص قبل اتباعه، ولكن هذه هي السمة الغالبة لمرضى القلوب أولئك..

قال الله عز وجل: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (٤٣) (١).

قال الإمام الشوكاني رحمته الله في تفسير هذه الآية: «ثم بين لهم سبحانه أنه لا تمسك لهم فيما ذهبوا إليه سوى التقليد و اتباع الهوى، فقال معجباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ قَدَمَ المفعول الثاني للعناية كما تقول: علمت منطلقاً زيداً أي: أطاع هواه طاعة كطاعة الإله، انظر إليه يا محمد وتعجب منه (٢) ...»

وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَاقِبِهِ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣٣) (٣).. ومريض الهوى يكون سبباً في حجب هذا العون وذلك التأييد الإلهي للعمل الإسلامي.

ومن وصايا عمر رضي الله عنه لأمرأء الجيوش الإسلامية وجندها عند الفتوحات الإسلامية التي ترن في الآذان، حينما قال لسعد بن أبي وقاص حين أمره على العراق: يا سعد بن وهيب، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو

(١) الفرقان: ٤٣

(٢) فتح القدير للشوكاني ج١ ص١٠٤٢ دار المعرفة ١٤٢٣ هـ

(٣) الجاثية: ٤٥



السيئ بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه، فإنه الأمر، هذه عظتي إياك، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك، وكنت من الخاسرين^(١).

وليعلم هذا المسكين أن متبع الهوى يصاب بنقصان بل تلاشي الطاعة غالباً. وكذلك يصاب بمرض القلب ثم قسوته وموته، وبعضهم يستهين بالذنوب والآثام. وكثيرٌ منهم لا يجدي معه النصح والإرشاد. بل يفتح على نفسه مداخل الشيطان وباب الابتداع في دين الله، ثم يصاب بالتخبط وعدم الهداية إلى الطريق المستقيم. والمصيبة عندما يتحول إلى إضلال الآخرين وإبعادهم عن الطريق. ومن ثم يحرم من توفيق الله عز وجل. وتكون خاتمته سيئة. والعياذ بالله^(٢).

والشعور بالنقص مرض نفسي خطير وهو من الأكثر شيوعاً في هذا الزمن، حيث يعزى إلى الظروف الخاصة بالعصر الذي نعيش، إن الأمراض النفسية بمجملها عائدة إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية و التغيرات السلبية التي حلت بالمجتمع، و ما صاحب ذلك من عدم نضج نفسي، و عدم تحمل المؤسسات الأسرية و التربوية و الإعلامية و الدينية لمسؤولياتها، و ترك الحبل على الغارب، و لهذا شاعت بين أبناء العصر الحاضر التكرار للمسؤولية و عدم تحملها كما يجب.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣٥/٧

(٢) من بحث اتباع الهوى لرياض عيدروس باختصار منشور على الشبكة.



أسباب الانحراف الفكري

٣٣

ومن أعراض الشعور بالنقص أن يتميز الانسان بحساسية مفرطة مبالغ فيها، و شعور بالهوان و يظهر هذا الشعور على شكل ملل مستمر و عدم التلذذ بأي شيء مما يحيط به، سواء في العمل أو في البيت، و يبدو الشخص غير مكترث لأي شيء. وفي أحيانٍ أخرى يبدو الشخص متغير الأحوال، تتداوله نوبات من الصمت العميق حيناً و من الثرثرة حيناً آخر، و يصاحب الصمت ثبوت الهمة أو التشاؤم أما نوبات الثرثرة فيصاحبها التهلل و المرح الصاخب.

وأخطر ما يكون الشعور بالنقص عند من يتخذون مسلكاً عكسياً فبدلاً من تحقير أنفسهم و الشعور بهوانهم، يختطون تحقير الناس و التهوين من شأن المجتمع وما فيه و من فيه، و إذا رأيت فرداً أو شخصاً يتكلم بلهجة التعالي أو التعالم أو يظهر بمظهر الخيلاء و انتفاخ الأوداج، فاعلم أنه يعاني شعوراً بنقص في علمه أو مكانته الاجتماعية أو نسبه مع أنه لافرق بين عربي و أعجمي إلا بالتقوى، و كذلك إذا صادفت شخصاً يقحم في كلامه ألفاظاً علمية اصطلاحية في غير موضعها، أو تعبيرات أجنبية في غير محلها فهو شخص مطعون في ثقافته، و إذا رأيت فرداً يبالغ في تأنقه، فاعلم بأن ذلك نوع من أنواع المبالغة في الظهور و طريقة من طرق تعويض الشعور بالنقص^(١).

وهذه الشخصيات تكون _غالباً_ مناخاً سهلاً لهبوط الانحراف الفكري عليها.. والمؤمن يدرك أنّ الله عز وجل كرم بني ادم وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وإن نقصت عندك حاجات فقد عوضك عنها في حاجات أخرى..

(١) من مقال لد عويد الصقور منشور عبر الشبكة.



ثالثاً: الكبر والتعالي:

يندر أن تخلو نفس من هذا المرض غير أن هذا المنحرف - غالباً - ما يكون الكبر قد أخذ منه مبلغه ولذلك فإن كثيراً من المنحرفين فكراً لا يرى غيره سوى أمثال الذر تمشي على الأرض والعياذ بالله، وربما احتقر أحدهم عالماً ثنى ركبه في العلم قبل أن يولد والد هذا المتكبر!!، ومع ذلك - نسأل الله العافية - يعمي الكبر صاحبه حتى لا يراه شيء تحت أي شبهة يراها مناسبة!!

وانظر إلى هذا المعنى في قوله ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجنًا في جهنم، يقال له: بولس، فتعلوهم نار الأنيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار»^(١).

ولست هنا في عرض الآيات والأحاديث المتواترة التي ذمت الكبر وأهله.. ولكن لأبين أن هذا سبباً رئيساً - والعياذ بالله - إلى الانحراف الفكري لأن المتكبر لا يرى غيره شيئاً، وأهمس هنا في أذن الآباء والمربين: إن كثرة مدحك الزائد لهذا الابن أو الطالب بأنه فتى زمانه وعالم عصره وفريد دهره وشعورك بالارتياح حينما يناقش قضية من كبرى القضايا، وتخطئة غيره وتصويبه، فإن ابنك هذا سيقع فريسة سهلة للانحراف الفكري ما لم يحفظه الله عز وجل وهذا مشاهد محسوس. ولا يعني ذلك العكس بأن تستخدم أسلوب التهميش والتحطيم، كلاً، وإنما أعطه ما يكفيه لا ما يضره، كما تعطه جرعة الدواء المناسبة حين مرضه!.

(١) رواه الإمام أحمد برقم ٦٦٧٨، وصحح إسناده المحقق أحمد شاکر ج ٦ ص ٢٣٢. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ج ٤ ص ٦٥٥.



أسباب الانحراف الفكري

٣٥

ومن يجد في نفسه شيئاً من هذا الداء فليعلم أن التواضع هو مجامع حسن الخلق، وهو هدي النبي - ﷺ - وهدى خير القُرُون، والتواضع هو لين الجانب، وعدم الترفع على الناس؛ كما قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(١)؛ وروى البخاري عن أنس بن مالك قال: "كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتلق به حيث شاءت"^(٢).

وروى ابن ماجه عن أبي مسعود قال: أتى النبي - ﷺ - رجل، فكلمه، فجعل ترعد فرائصه، فقال له: "هون عليك، فإنني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد"^(٣).

وقال علي بن أبي طالب: "لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله"، وكان أبو عبيدة بن الجراح - وهو أمير - يحمل سطلاً له من خشب إلى الحمام.

وقال ثابت بن أبي مالك: رأيتُ أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، وعن الأصبغ بن نباتة قال: كأني أنظر إلى عمر رضي الله عنه معلقاً لحمًا في يده اليسرى، وفي يده اليمنى الدرّة، يدور في الأسواق حتى دخل رحله.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم ٧٧٣٧. وصححه الألباني في السلسه الصحيحة ٢٣٨٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الكبر برقم ٦٠٧٢ ج ٨ ص ٢٠

(٣) رواه ابن ماجه في أبواب الأَطعمة، باب القديد ج ٤ ص ٤٣٠ برقم ٣٣١٢ وقال المحقق شعيب الأرنؤوط: صحيح ورجال ثقات.



وقال بعضهم: رأيتُ علياً رضي الله عنه قد اشترى لحماً بدرهم، فحمله في ملحفته، فقلتُ له: أحمل عنك يا أمير المؤمنين، فقال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل. روي عن عمر بن عبدالعزيز أتاه ليلة ضيف، وكان يكتب، فكاد السراج يطفأ، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه، فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قال: أفأنبئه الغلام؟ فقال: هي أول نومة نامها، فقام وأخذ البطة وملاً المصباح زيتاً، فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين! فقال: ذهبْتُ وأنا عمر، ورجعتُ وأنا عمر، ما نقص منِّي شيء!!^(١).

فأين أولئك من هؤلاء!!

رابعاً: البيئة والجلساء بما فيهم الصاحب والكتاب والجهاز الذكي!!..

وهذه مؤثرة تأثيراً كبيراً ولذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من جليس السوء ومجالسة أهل الباطل لأنَّ العدوى سريعة الانتقال، حتى لو ظن الشخص أنَّ لديه من العلم الكافي!! فالعاقل من يفر عن المنحرف فراره من الأسد.. وبعض الشباب يتساهل في ذلك معتذراً لنفسه أنه سيصلح الانحرافات الموجودة.. نعم عليك الدعوة و المجادلة بالتي هي أحسن بشرط العلم.. ثم إذا لم يُلقَ لك هذا المنحرف بالاً فلا تهلك نفسك بالإكثار من مجالسته ومناقشته - خاصة في المسائل الشرعية - فمن لم يقتنع بكبار العلماء لن يقتنع بك أنت!! - وابن عباس رضي الله عنه حاور وناظر الخوارج، ورجع منهم من رجع وبعد ذلك صفّ جندياً مع علي رضي الله عنه.. لم يستمر في الجدل والمناقشة!!

(١) انظر: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين لمحمد جمال القاسمي ص ٢٤٧، دار الكتب العلمية



أسباب الانحراف الفكري

٣٧

أثر المجلس خطير سواء كان إنساناً أو كتاباً أو قناةً أو جهازاً ذكياً يُشكّل فكريك حسب ما يريد هو !! فإذا كان منحرفاً فماذا ستصبح أنت !!

وانظر إلى هذا التشبيه البليغ منه ﷺ قال عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمَسْكِ، وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ، لَا يَعْذَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمَسْكِ، إِلَّا مَا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).

ألا ترى في هذا تحذيراً بليغاً من مجالسته !! فلماذا تخالف نهيه ﷺ !! إن عملية اختيارك لجليسك .. أو كتابك .. أو قناتك .. أو من تتابعهم وتدخل مواقعهم .. هي عملية تكوين لفكريك وشخصيتك أنت شئت أم أبيت !! وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قوله ﷺ: «المرء على دين خليله»^(٢)؛ لأن المجاورة مؤثرة، والأخلاق سارية، قال علي رضي الله عنه: "الصحبة سارية والطبيعة سارقة"، وقال أبو حاتم البستي رحمته الله: "العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار؛ لأن مودة الأخيار سريع اتصالها، بطيء انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها، وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم، فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب لئلا يكون مريباً فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشر"^(٣).

- (١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك ج ٣ ص ٦٣ برقم ٢١٠١
(٢) رواه أحمد في مسنده ج ٨ ص ١٨٠ برقم ٨٠١٤ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ج ٢ ص ٥٩٨.
(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. لمحمد بن حبان البستي. ص ٩٩ - ١٠٦. دار الكتب العلمية - بيروت.



وقد تكون صحبة الشخص السيء أو الكتاب المنحرف أو المعرف الجاهل أو الموقع المضلل أو القناة الموجهة.. عقوبة للشخص ونذير شؤم عليه بسبب معصية ألم بها وانتهاكٍ لمحرم فعله ولم يتب!!

خامساً: الشعور بالظلم:

لاشك أن الشعور بالظلم سبب من مسببات الخلل الفكري.. والظلم هو: مجاوزة الحد والإسراف في ذلك. ومن أعظم الظلم: ظلم النفس بالإسراف في المعاصي والتي من أعظمها الشرك بالله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، ثم ظلم الآخرين من البشر بغمطهم حقوقهم، وسلبها فيبتلى الظالم بنخرة في قلبه تجرّه إلى الانحراف - خاصة - إذا لم يتب ويعطي الناس حقوقهم ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مَّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٢)؛ هذا من جهة. ومن جهة أخرى: فإنّ المظلوم والمقهور من البشر مهما كان على درجة من الصلاح الظاهر إذا شعر بالضيم يتعلق بالقشة - إلا من رحم الله - لأخذ حقه واسترجاعه، ويرى في نفسه أن كل من وقف تجاه الظالم في أي قضية فهو على حق!! وتجب نصرته حتى لو كان أحياناً منحرفاً فكرياً ومن هنا ينشأ التأثير!!

ومن هذا المنزاع فإنّ كثيراً من العلماء ينبه إلى أن بقاء الدول واستقرارها يكون بالعدل.. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنْ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيَمَةٌ وَعَاقِبَةُ الْعَدْلِ كَرِيمَةٌ وَلِهَذَا يُرَوَى: "اللَّهُ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ

(١) سورة لقمان: ١٣

(٢) سورة الشوري: ٣٠



أسباب الانحراف الفكري

٣٩

كَانَتْ مُؤْمِنَةً". اهـ (١).

وقال الإمام الذهبي رحمته الله: قُلْتُ: فَرِحْنَا بِمَصِيرِ الْأَمْرِ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنْ - وَاللَّهِ - سَاءَنَا مَا جَرَى؛ لِمَا جَرَى مِنْ سُيُولِ الدَّمَاءِ، وَالسَّبْيِ، وَالنَّهْبِ - فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ - فَالدَّوْلَةُ الظَّالِمَةُ مَعَ الْأَمْنِ وَحَقْنِ الدَّمَاءِ، وَلَا دَوْلَةَ عَادِلَةٍ تُنْتَهَكُ دُونَهَا الْمَحَارِمُ، وَأَنَّى لَهَا الْعَدْلُ؟ بَلْ أَتَتْ دَوْلَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ خُرَاسَانِيَّةٌ جَبَّارَةٌ، مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ. اهـ (٢).

وقد ذكر ابن كثير في حوادث سنة خمس عشرة وستمائة أن المعظم أعاد ضمان القيان والخمور والمغنيات وغير ذلك من الفواحش والمنكرات التي كان أبوه قد أبطلها، بحيث إنه لم يكن أحد يتجاسر أن ينقل ملء كف خمر إلى دمشق إلا بالحيلة الخفية، فجزى الله العادل خيراً، ولا جزى المعظم خيراً على ما فعل، واعتذر للمعظم في ذلك بأنه إنما صنع هذا المنكر لقلّة الأموال على الجند واحتياجهم إلى النفقات في قتال الفرنج. ثم علق ابن كثير على ذلك فقال: وهذا من جهله وقلة دينه وعدم معرفته بالأمر؛ فإن هذا الصنيع يديل عليهم الأعداء وينصرهم عليهم، ويتمكن منهم الداء ويثبط الجند عن القتال فيولون بسببه الأدبار، وهذا مما يدمر ويخرب الديار ويديل الدول، كما في الأثر: إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني!.. (٣)

فانظر رعاك الله كيف جرّ الظلم شباب الأمة إلى ويلات فكرية لها آثارها المدمرة؟!.

(١) الفتاوى ج ٢٨ ص ٦٢-٦٣

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٦ ص ٥٨.

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ج ١٧ ص ٧٢ وما بعدها.



سادساً: وسائل الإعلام:

وهذه من أخطر أسباب الانحراف الفكري، وأقصد بها جميع وسائل الإعلام بما فيها (الإعلام الجديد) إذ من الحقائق الثابتة أن وسائل الإعلام تؤثر في الأفراد والمجتمعات، بل إنها تؤثر في مجرى تطور البشر، وأن هناك علاقة سببية بين التعرض لوسائل الإعلام والسلوك البشري، بل والفكر الإنساني..!

و جميع الإعلاميين في العالم يقرون أن الوظائف الرئيسة التي تؤديها وسائل الاتصال الجماهيرية وظيفة تكوين الآراء والاتجاهات لدى الأفراد والجماعات والشعوب، وهذه الوظيفة لا يمكن عزلها عن الوظائف الأخرى كالأخبار والترفيه، إلا أنها تمتاز عنها بخصوصية الهدف من هذه الوظيفة. وإن أخلاقيات الإعلام تفرض على وسائل الإعلام القيام بواجباتها ووظائفها بصدق وأمانة وعدالة، وموضوعية وتوازن، وشمول ودقة، وعدم إساءة استخدام سلطة الإعلام.

ولكن مع وجود صراع المصالح الهائل على المستوى العالمي فإن هذه الأخلاقيات تغيب أحياناً، وتحدث بشكل متعمد أنواع من التضليل الإعلامي^(١).

ولا يشك عاقل في أن كل منظومة أو منظمة أو حزب أو جماعة يكرس أغلب جهوده للدفاع عن فكره في تكوين ترسانة إعلامية ضخمة تصرف عليها أموال طائلة..

وهذا ما يجب أن يحذر الشباب منه خاصة مع التطور الهائل للتقنية

(١) انظر: كتاب التربية الإعلامية للأستاذ الشميمري ص ٢.



أسباب الانحراف الفكري

٤١

الحديثة.. فالعقل اللاواعي للإنسان يكون فكره من خلال رسائل الإعلام الموجهة فيصبح في يوم من الأيام مسلماً لتمرير أهداف غيره..

وهذا المدخل هو ما لم يحسن استغلاله للأسف أصحاب الفكر و التوجه السليم أحيانا فهم منشغلون دائماً في الدفاع دون البناء الأساسي.

وإذا كان السلف رحمهم الله لا يقبلون رواية المجاهيل فكيف تقبل رواية وسائل الإعلام الموجهة والمعرفات المجهولة!!؟

والله تعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١).

ولذا يجب على المشاهد أو القارئ أو المستمع أن يعي جيداً أن ما يعرض في وسائل الإعلام ليس دائماً صحيحاً، أو من المسلمات بل يجب إعمال التحليل والمنطق لتفسير هذه الأخبار والمعلومات القادمة من وسائل الإعلام، من خلال الوسائل الشرعية للثبوت خاصة من حيث العدالة والضبط التي تعبر عنها بالمصادقية - ويندر من يتمتع بهذا من وسائل الإعلام الحالية إذ كلها لها توجهات لمصالح معينة - ومن جانب تحليل الهدف المنطقي من الاستفادة وهل تعارض الفكرة المطروحة الكتاب والسنة؟ وماذا قال عنها أكابر أهل العلم والفكر؟، وأيضاً من خلال ماذا ستحدث عند المتلقي هذه الفكرة والنتيجة النهائية هي لصالح من؟!..!

سابعاً: الإحباط من واقع المسلمين المرير.

فإذا رأى الشاب واقع المسلمين في كثير من بلادهم، وماهم عليه من فتن وقتل وحرب وتشريد وآلام وتسلط للأعداء.. دبّ التحسر والألم في

(١) سورة الحجرات: ٦



قلبه - وحق له ذلك - وأصبح للشيطان مدخلاً عليه من جهتين...:

الأولى: الشك في موعود الله في النصر و التمكين: خاصة إذا صاحب ذلك انبهار بحضارة الغرب المادية وبريقها الأخاذ، فتبدأ تتخلل المبادئ شيئاً فشيئاً فيبدأ بقراءة فلسفاتهم وكبار كتابهم في ذلك.. فينحرف انحراف فكرياً، وينتج عنده خلل في المقدمات والنتائج، لأنه نسي أو تناسى شرط النصر والتمكين ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَخَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١)؛ كما أنه قد غفل هذا المسكين عن حضارة الأمة وتاريخها الذي لم تبلغ الحضارة الغربية عشرها، عندما أقامت الدولة الإسلامية شريعة الله تعالى متماشية في ذلك مع السنن الكونية والشرعية.. جهل في السنن الشرعية والكونية، وجهل في التاريخ وإرضاء للرغبات والأهواء.. وكفى شاهداً على ذلك ما قاله المسيو (ليون روش) أحد جواسيسهم، وهو الذي أقام في بلاد المسلمين ثلاثين سنة تعلم في أثنائها اللغة العربية وفنونها، وقرأ العلوم الإسلامية، وعاشر المسلمين في الجزائر وتونس ومصر والحجاز، وقد ألف كتاباً عنوانه: "ثلاثون عاماً في الإسلام"، قال فيه: "اعتنقت دين الإسلام زمنًا طويلاً لأدخل عند الأمير عبدالقادر دسيصة من قبل فرنسا، وقد نجحت في الحيلة، فوثق بي الأمير وثوقاً تاماً، واتخذني سكرتيراً، فوجدت هذا الدين الذي يعيبه الكثير أفضل دين عرفته، فهو دين إنساني طبيعي إقتصادي أدبي، ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعاً فيه، بل إنني عدت إلى الشريعة التي يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية، فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الإسلامية أخذاً.

(١) سورة الحج: ٤١



أسباب الانحراف الفكري

٤٣

ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين، فوجدته قد ملاًها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالاً وكرماً، بل وجدت هذه النفوس على مثل ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف، في عالم لا يعرف الشرَّ واللغو والكذب، فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءاً، ثم هو لا يستحل محرماً في طلب الرزق، ولذلك كان أقل مالا من الإسرائيليين، ومن بعض المسيحيين.

ولقد وجدت فيه حلَّ المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طراً: الأول في قول القرآن: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، فهذه أجمل مبادئ الاشتراكية.

الثاني: فرض الزكاة على كل ذي مال، وتخويل الفقراء حقَّ أخذها غصباً إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعاً، وهذا دواء الفوضوية. ثم قال عن الإسلام إجمالاً: إنه دين المحامد والفضائل، ولو أنه وجد رجالاً يعلمونه الناس حق التعليم، ويفسرونه تمام التفسير، لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين، وأسبقهم في كل الميادين، ولكن وجد بينهم ويا للأسف شيوخ يُحرِّفون كلمه، ويمسحون جماله، ويدخلون فيه ما ليس منه. اهـ

وقال المستر درابر أستاذ كلية نيويورك بأمريكا: إن أقوى وأكبر الممالك الدينية التي لم يرَ العالم مثلها قد ولدت فجأة، وامتدت من المحيط الأتلانتيكي إلى أسوار الصين، ومع ذلك فلم تكُ قد بلغت نهاية ما قدر لها من الامتداد والتفوذ، فلقد أتى عليها بعد ذلك حين من الدهر

(١) الحجرات: ١٠



طردت فيه خلفاء القياصرة، وملكت بلاد اليونان، ونازعت النصرانية السلطة على أوروبا، ونشرت نفوذ عقائدها خلال الصحاري الموحشة والغابات الموبوءة من أول شواطئ البحر الأبيض المتوسط إلى خط الاستواء. (١).

فانظر شهادات الغربيين أنفسهم على ذلك إذ الخلل ليس في الفكر الإسلامي كما يتصوره المنحرف، إنّ الخلل في عدم التمسك به، وعدم تطبيق شرع الله تعالى كاملاً، والسير على السنن الشرعية والكونية ذلك.

الثانية: وأعني بها الجهة الثانية من مداخل الشيطان للشاب المسلم إذا رأى واقع المسلمين: الاستعجال بالنصر ومخالفة السنن الكونية والشرعية في ذلك أيضاً فتستغله بعض المنظمات التي تكونت عندها تصورات فكرية معينة من قبل المجتهدين لتطبيق الشريعة، أو المخترقين لهم من أعداء الإسلام تحت مسمى الجهاد وتطبيق شرع الله، فيستعجلون النصر ويخالفون السنن الكونية، ثم يأخذ بهم الغلو مبلغه.. فينفتح باب الانحراف من هنا فيستغله أعداء الإسلام المخترقون لهم، فيجتمع الجهل بالسنن والجهل بالسياسة الشرعية وعدم تطبيقها، مع الحدة فيمن يخالفهم وينصحهم بالهدوء والسكينة ووصفة بالعمالة والردة وماشابه... فيكون العالم كلّه عدواً لهم، فينقلب العالم الشرعي في نظرهم من مُوجّهٍ إلى عدو لدود، والجندي المجاهد إلى مرتد مرتزق، وتنشأ الفتن وتعم الفوضى، وهذا مايسعى إليه أعداء شريعة رب العالمين فهم اختصروا الطريق لهم.. ولو فقط أدركوا أن قيام الدولة الإسلامية في ازدهار

(١) للتوسع في هذه المسألة انظر: صفحة شهادات المستشرقين من موقع الشيخ زيد الفياض.



أسباب الانحراف الفكري

٤٥

عصرها - العصر الذهبي من أقاصي شرق الصين شرقاً إلى الأندلس أسبانيا غرباً - تطلب وقتاً بدأه النبي ﷺ في الدعوة المكية ثلاث عشرة سنة ثم عشر سنوات في المدينة، ثم تم الأمر بعد وفاته ﷺ بتسعين سنة تقريباً من الإعداد والدعوة والجهاد.. وهو نبي الله عليه الصلاة والسلام.. أقول لو أدركوا ذلك لعلموا أنهم متخطبون ضائعون مُستغلون وهم لا يشعرون..

إنّ الفتح بالدعوة مقدم على الفتح بالقتال لسبب واضح جداً هو: أنّ هذا الذي فعله النبي ﷺ وفي عصرنا الحاضر مجال الفتح من خلال الدعوة والفكر أثبت ذلك!!

أعود فأقول هذا من أهم أسباب الانحرافات الفكرية.. فلو قامت الحكومات الإسلامية بواجبها الكامل الشرعي تجاه إخوانهم لخفت كثير من القلائل في بلاد المسلمين.. ومع ذلك فعدم قيامهم ليس عذراً للشباب في الإنحراف.. ومن جهة أخرى والحديث يجبر بعضه أن الانحراف كما فيه خطورة على الشباب فكذلك فيه خطورة على الدول ذاتها، إذ قد تسبب الانحراف الفكري والعقدي قبل ذلك في زوال دول بأكملها نظراً لانحراف فكر أمرائها، وقد استشهد شيخ الإسلام بأن من أحد أسباب سقوط الدولة الأموية هو فساد فكر مروان بن محمد (آخر خلفاء بني أمية)، بسبب فساد مربيه الجعد بن درهم (صاحب الفكر المنحرف في اعتقاده بالأسماء والصفات)، فقال ﷺ "وهذا الجعد إليه ينسب مروان ابن محمد الجعدي، آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة؛ فإنه إذا ظهرت البدع تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم" (١).

(١) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ١٧٧



ثامنا : إنشغال دعاة أهل السنة والجماعة بالردود وإغفال جانب البناء ..
الرد على المنحرفين فكرياً وعقدياً من أعظم القرب، وماذاك إلا لأنّ
فيه الذود عن حياض الشريعة والدفاع عنها، بل و من الحكم أصلاً في
مشروعية الجهاد سواءً كان بالنفس أو المال أو الكلمة، الدفاع عن دين
الله عز وجل.

هذه مقدمة مسلمٌ بها .. لكن الملاحظ على كثير من الدعاة والمربين
والمعلمين للشباب الاهتمام بهذا الجانب فقط دون الالتفات إلى البناء
والتربية .. والمتأمل في سيرة النبي ﷺ نجد أنه يهتم في البناء كثيراً .. بناء
الفكر الإنساني .. بناء الشخصية المسلمة .. ولعل قصة أبي سفيان في
قصة هرقل عظيم الروم خير شاهد قال هرقل : فماذا يأمركم -يعني النبي
ﷺ- قال أبو سفيان قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ،
واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والصدقة،
والعفاف، والصلة^(١).

فمع أحلك الظروف في مكة وتآمر الكفار عليه يأمر بالصلاة والصدق
والعفاف والصلة ..

إنها الإيجابية .. إنه البناء الفكري السليم .. ووضع الأسس للشخصية
المسلمة التي تعين المسلم على الثبات بإذن الله _وسأشرح في مبحث قادم
إن شاء الله وسائل تحصيل الثبات.

أضف إلى ذلك مع الإيجابية بشكل عام الاهتمام بتكوين العقلية
المسلمة من حيث إدراك المقدمات على حقيقتها وبناء النتائج بشكل

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي ج١ ص٨ حديث رقم ٧



أسباب الانحراف الفكري

٤٧

سليم.. فمثلاً تجد القرآن بهذا - ولا شك - قد فاق كل الفلسفات التي سبقته، صحيح أن الفلسفة اليونانية استطاعت في ذروتها أن تصوغ مناهج عقلية متقدمة - بالنسبة للحضارات التي سبقتها والتي لحقتها حتى نزول القرآن - إلا أن ذلك كله لم يفض إلا إلى مجموعة من الآراء المتعارضة التي أعاقت العقل أكثر مما ساعدته.

وليس ذلك بالمقارنة مع المناهج العقلية اليونانية فحسب، بل بالمقارنة أيضاً مع النزعات العقلية في كتب الأديان التي اكتفت - كما يقول عباس العقاد في كتاب التفكير فريضة إسلامية - بمجرد إشارات صريحة أو ضمنية إلى العقل أو التمييز، حتى أن هذه الإشارات يُلح منها أحياناً نوع من الزرابة بالعقل والتحذير منه لأنه مزلة العقائد.

القرآن قبل كل شيء كتاب عقيدة وشريعة صالحة لكل زمان ومكان، ولكنه مع ذلك تعرض لكثير من القضايا العقلية وناقشها عبر منهج عقلي لا تجد له مثيلاً في الشكل والمضمون، لأن أفضل أساس يمكن أن تقوم عليه هو التفكير البناء.

والعقل السليم هو أساس منهج التفكير الذي يدعو القرآن الكريم له، وهو محور الاهتمام لذا لم يذكره القرآن - كما يقول العقاد - " إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به، ولم تأت الإشارة إليه غامضة ولا عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعه مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يُحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على إهماله عقله وقبوله الحجر عليه"^(١).

(١) التفكير ضرورة شرعية ج ٥ ص ٨٢٩ من موسوعة العقاد ط: دار الكتاب.



ومما يدل على تكريم العقل والحث على استخدامه، كثرة تكرار الألفاظ الدالة على العقل ومرادفاتها في مقام التكريم، والألفاظ الدالة على وظائف العقل سواء في سياق الحث على استخدامه أو ذم تعطيله. فمثلاً وردت مشتقات لفظة عقل تسعاً وأربعين مرة، ووردت الدعوة إلى النظر العقلي مائة وتسعاً وعشرين مرة، والدعوة إلى التبصر مائة وثمان وأربعين مرة، والدعوة إلى التذکر مائتين وتسعاً وستين مرة، بالإضافة إلى صيغ أخرى تحمل الحث على استخدام المنهج العقلي^(١).

ومع ذلك كله فمسألة تقديم العقل على النقل ليست هي مدار البحث هنا وإنما سأتناولها في مبحث قادم إن شاء الله.

على أية حال الشاهد من هذا كله هو صياغة البناء في شخصية المدعو بناءً فكرياً وسلوكياً وترسيخ وسائل الثبات فيه.

تاسعاً: عدم اهتمام المحاضن التربوية باستغلال طاقات الشباب الاهتمام الكافي.

فإذا لم يجد الشاب الموهوب صاحب الطاقة العالية مناخاً خصباً لإفراغها فقد يفرغها في مجالات منحرفة - خاصةً مع قلة التوجيه - وهذا أمر معروف، وليس عذراً للشباب في الانحراف وتبريرا له، فالشباب مكلف ومحاسب لكن هذا سببٌ في انحراف بعضهم..

إن صرف الطاقات أمر مهم، و أخطر منه أن يتم التوجيه بشكل خاطيء، ثم يكتشف الشاب أنه قضى جزءاً من عمره في تفاهات، فيحاول

(١) من مقال لد عماد الراعوش: مقومات التفكير البناء، نشره موقع الجامعة الإسلامية بالمدينة.



أسباب الانحراف الفكري

٤٩

التعويض عن ذلك بانحراف أخطر منه.. كمن يصحو ويغفو على تحليل مباريات أو فن وتمثيل ثم يكتشف تفاهة مساره، فيغيره لأخطر من ذلك كانهلال فكري أو سلوكي..! وبعض الشر أهون من بعض - لا شك - لكن لو كان إفراغ الطاقة الشبابية في شيء مثمر لما وقع مثل هذا الخلل بإذن الله، لأن الشاب سيرضى ويتصالح مع نفسه بخلاف الأول.

وكثيراً ممن تقع عليهم المسؤولية في مجتمعنا من مؤسسات وشركات لا يعطي هذا الجانب اهتماماً إلا من خلال مصالحه الضيقة، لدرجة أن بعض الشركات والمؤسسات التي يفرض عليها توظيف الشباب لا تمكنهم من العمل بل تدفع لهم مرتبات مقابل الحضور فقط أو حتى الجلوس في البيوت واستلام المرتب آخر الشهر. وتقتل مواهبهم ومقدراتهم وتساهم في انحرافهم وهي لا تشعر!

وتجد كثيراً من الناس يساهم في ثقافة عيب البيع والشراء والتكسب أو العمل بالأعمال المهنية؛ فينظر نظرة دونية لمن يعمل في هذا المجال فيعرض الشاب عن تطوير مواهبه واستغلال مواهبه خوفاً من هذه النظرة. أين من يدرك أن البيع والشراء والعمل والأكل من كسب اليد من أفضل الأعمال؟!.

فقد سئل رسول الله ﷺ: أي الكسب أطيب؟ قال (عمل الرجل بيده وكل كسب مبرور) وفي رواية (وكل بيع مبرور)^(١).

إنه لمن المهم جداً استغلال أوقات الشباب فيما يعود عليهم بالنفع، وبناء البرامج في ذلك وعدم محاربة المنتج منهم بل توجيهه بالشكل السليم.

(١) رواه أحمد ج٤ ص١٤١. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٢ ص٦٠٧





عاشراً: تجاهل وإغفال المرجعيات الشرعية والعلماء الربانيين:

وهذا ملاحظ.. فكلما تجاهل الناس آراء العلماء بأي حجة كانت أو شبهة أضمرت كلما كثر الإنحراف.

قديمًا طعن أعداء الإسلام في صحابة رسول الله ﷺ نقلة الشريعة، وبثوا في الناس التهوين من شأنهم، والهدف هو الطعن في الدين نفسه.. ولما برزت ظاهرة الاستشراق أول من طعن فيه أبوهريرة رضى الله عنه، والسبب واضح فهو راوٍ لأكثر من خمسة آلاف حديث.. ويتكرر هذا في كل عصر حتى يطعن بعلماء الأمة لأنهم هم حراس الفكر والعقيدة الإسلامية بعد الله عز وجل..

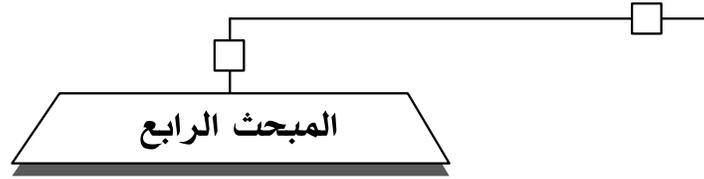
فبداية الانحراف هي التقليل من شأن العلماء وانتقادهم على الملأ وعلى عوام الناس.. وهذا قد يصنعه بعض السياسيين أحياناً لغرض محدد فيفاجأ بانحرافات لا قبل له بها!!!.. لأن صوت العالم لم يعد مسموعاً وتحذيره لا يؤبه به!!

إنّ العالم الرباني هو الموجه للناس، وهو المبلغ عن دين الله، بل هو وريث النبي ﷺ، والسياسي الحصيف هو من لا يخرج عن رأيه لأن أولي الأمر في الشريعة هم شخصيتان العلماء والأمراء.. فمتى لم يُسمع له وقع الانحلال والفوضى.. بالضبط مثل لو خرج الناس على ولي أمرهم ولم يسمعوا لهم تحصل الفوضى والنزاعات.. والفوضى الفكرية هي الأساس للفوضى الأخلاقية و فوضى الدماء وانتهاك الأعراض.

ولذا روي عنه ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ، كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَإِذَا انْظَمَسَتْ النُّجُومُ، أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهَدَاةُ»^(١).

(١) رواه الإمام أحمد ج٣ ص١٥٧ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ج١٢ ص٧٩٥





الابتداع في الدين فكراً وتطبيقاً..

مفهومه . الابتداع واحده بدعة ..

والبدعة في اللغة من " الباء والداال والعين " ، وهي الاختراع لا عن مثال سابق^(١) .

وفي الاصطلاح: قال شيخ الإسلام رحمته الله : البدعة ماخالف الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات^(٢) .

ومن أجمع التعاريف تعريف الإمام الشاطبي - رحمته الله حيث قال البدعة هي " طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه.. " ^(٣) .

(١) مختار الصحاح ج ٣ ص ١١٨٣ (بدع)

(٢) الفتاوى ج ١٨ ص ٣٤٦

(٣) ثم قال رحمته الله : وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصها بالعبادات، وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة، فيقول: البدعة: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية، ولا بد من بيان ألفاظ هذا الحد .. =



= فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد، وهو ما رسم للسلوك عليه وإنما قيدت بالدين، لأنها فيه تخترع، وإليه يضيفها صاحبها، وأيضاً؛ فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص، لم تسم بدعة؛ كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم.

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم، فمنها ما له أصل في الشريعة ومنها ما ليس له أصل فيها، خص منها ما هو المقصود بالحد، وهو القسم المخترع، أي: طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع، إذ البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع.

ثم قال وقوله في الحد: "تضاهي الشرعية"؛ يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة:

منها: وضع الحدود؛ كالناذر للصيام قائماً لا يقعد، ضاحياً لا يستظل، والاختصاص في الانقطاع للعبادة، والاقتصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة.

ومنها: التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً، وما أشبه ذلك.

ومنها: التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالنظام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته.

وتم أوجه تضاهي بها البدعة الأمور المشروعة، فلو كانت لا تضاهي الأمور المشروعة لم تكن بدعة، لأنها تصير من باب الأفعال العادية.

وأيضاً فإن صاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها السنة، حتى يكون ملبساً بها على الغير أو تكون هي مما تلبس عليه بالسنة، إذ الإنسان لا يقصد الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع، لأنه إذ ذاك لا يستجلب به في ذلك الابتداع نفعاً ولا يدفع به ضرراً ولا يجيبه غيره إليه.. ولذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمر تخيل التشريع، ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير

ثم قال: وقوله: "يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى" .. قال: وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات، فكل ما اخترع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع ولم يقصد به التعبد؛ فقد خرج عن هذه التسمية، كالمغارم الملزمة على الأموال وغيرها على نسبة مخصوصة وقدر مخصوص، مما يشبه فرض الزكوات ولم يكن إليها ضرورة، وكذلك اتخاذ المناخل، وغسل اليد بالأشنان، وما أشبه ذلك من الأمور التي لم تكن قبل، فإنها لا تسمى بدعا =



الابتداع في الدين فكراً وتطبيقاً

٥٣

وعلى أية حال البدعة شرعاً ضابطها: " أن كل من تعبد لله بشيء لم يشرعه الله، أو بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع، سواء كان ذلك التعبد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق بأحكامه وشرعه.

أما الأمور العادية التي تتبع العادة والعرف فهذه لا تسمى بدعة في الدين، وإن كانت تسمى بدعة في اللغة، ولكن ليست بدعة في الدين وليست هي التي حذر منها رسول الله ﷺ.

وليس في الدين بدعة حسنة أبداً، والسنة الحسنة هي التي توافق الشرع، وهذه تشمل أن يبدأ الإنسان بالسنة أي يبدأ العمل بها، أو يبعثها بعد تركها، أو يفعل شيئاً يسنّه يكون وسيلة لأمر متعبد به فهذه ثلاثة أشياء:

الأول: إطلاق السنة على من ابتدأ العمل، ويدل له سبب الحديث فإن النبي ﷺ حث على التصديق على القوم الذين قدموا عليه ﷺ، وهم في حاجة و فاقة، فحث على التصديق فجاء رجل من الأنصار بـصُرةٍ من فضة قد أثقلت يده فوضعها في حجر النبي عليه الصلاة والسلام، فقال النبي ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل

= على إحدى الطريقتين.. وأما الحد على الطريقة الأخرى، فقد تبين معناه، إلا قوله: " يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية "، ومعناه: أن الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد في عاجلتهم وآجلتهم؛ لتأتيهم في الدارين على أكمل وجوها، فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته، لأن البدعة إما أن تتعلق بالعادات أو العبادات، فإن تعلقت بالعبادات، فإنما أراد بها أن يأتي تعبده على أبلغ ما يكون في زعمه، ليفوز بأتم المراتب في الآخرة في ظنه، وإن تعلقت بالعادات؛ فكذلك، لأنه إنما وضعها لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها.. اهـ.. الاعتصام ج ١ ص ٥١ وما بعدها.



بها»^(١) فهذا الرجل سنّ سنة ابتداء عملٍ لا ابتداء شرع.

الثاني: السنة التي تركت ثم فعلها الإنسان فأحيائها فهذا يقال عنه: سنّها بمعنى أحيائها، وإن كان لم يشرعها من عنده.

الثالث: أن يفعل شيئاً وسيلة لأمر مشروع، مثل بناء المدارس وطبع الكتب فهذا لا يُتعبد بذاته، ولكن لأنه وسيلة لغيره، فكل هذا داخل في قول النبي ﷺ: "من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها"^(٢)..

ذمّ الابتداع في الشريعة:

بدايةً البدع منشؤها الأساس عن فكر منحرف ثم تتأصل حتى تُطبق عملياً !!

وقد جاء التحذير منها في الكتاب والسنة وأقوال السلف.. فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤). وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد - وفي رواية - من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٥). وعن عبد الله بن

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ج ٢ ص ٧٠٤ حديث رقم ١٠١٧

(٢) مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين ج ١١ باب البدع.

(٣) سورة القصص : ٥٠

(٤) سورة ص ٢٦

(٥) سبق تخريجه.



الابتداع في الدين فكراً وتطبيقاً

٥٥

عمر رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من رغب عن سنتي فليس مني»^(١).
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا فرطكم على
الحوض وليختلجن رجال دوني، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك
لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٢).

وقد تكلم عن خطرها أئمة الهدى وحذروا منها، فقد قال إمام دار
الهجرة الإمام مالك رضي الله عنه: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد
زعم أن محمداً خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾"^(٣)، فما لم يكن يومئذ ديناً لا
يكون اليوم ديناً"، وسئل سفيان الثوري عن الكلام فقال: "دع الباطل،
أين أنت من الحق؟ اتبع السنة، ودع البدعة"، وقال رضي الله عنه: "وجدت الأمر
بالاتباع"، وقال الإمام أحمد رضي الله عنه: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان
عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاقتراء بهم، وترك البدعة، وكل بدعة
ضلالة"^(٤).

و آثار الابتداع خطيرة:

أولاً: أن عمل المبتدع مردود عليه لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن

- (١) أخرجه البخاري في كتاب كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ج ٣ ص ١٨٤ برقم ٢٦٩٧، ومسلم في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محكمات الأمور ج ٣ ص ١٣٤٣ برقم ١٧١٨
- (٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض ج ٨ ص ١١٩ برقم ٦٥٧٥. ومسلم في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم ج ٤ ص ١٧٩٦ برقم ٢٢٩٧
- (٣) سورة المائدة ٣.
- (٤) شرح السنة للبخاري ج ١ ص ٢١٧



النبي ﷺ قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد^(١).

ثانياً: أن المبتدع تحجب عنه التوبة ما دام مصراً على بدعته: لما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله حجز أو قال حجب التوبة عن كل صاحب بدعة"^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن كثيراً من الناس إذا ذكرت التوبة والاستغفار؛ يستشعر قبائح قد فعلها، فعلم بالعلم العام أنها قبيحة: كالفاحشة والظلم الظاهر، فأما ما قد يتخذ ديناً فلا يعلم أنه ذنب إلا من علم أنه باطل، كدين المشركين وأهل الكتاب المبدل فإنه مما تجب التوبة والاستغفار منه، وأهله يحسبون أنهم على هدى، وكذلك البدع كلها، ولهذا قال طائفة من السلف - منهم الثوري - : "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها، وهذا معنى ما روي عن طائفة أنهم قالوا: "إن الله حجز التوبة على كل صاحب بدعة"^(٣).

ثالثاً: يتحمل المبتدع إثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة: فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني (٤/٢٨١)، وقال الألباني: وإسناده حسن.

(٣) مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٦٨٤

(٤) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ج ٢ ص ٧٠٤ برقم ١٠١٧



الابتداع في الدين فكراً وتطبيقاً

رابعاً: البدعة تميز السنة: لأنه ما ظهرت بدعة إلا وماتت سنة من السنن فإن البدعة لا تظهر وتشيع إلا بعد تخلي الناس عن السنة الصحيحة، وظهور البدع علامة دالة على ترك السنة قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع، وتموت السنن" (١).

خامساً: البدعة تُدخل صاحبها في اللعنة: ففي الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيمن أحدث في المدينة: «من أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً؛ فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» (٢).

قال الإمام الشاطبي رحمته الله: "وهذا الحديث في سياق العموم، فيشمل كل حدث أحدث فيها مما ينافي الشرع، والبدع من أقبح الحدث" (٣).

سادساً: صاحب البدعة يفرق الأمة والمسلمين، ويوجد بسبب ذلك أحزاباً وشيعاً متفرقة قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٤).

سابعاً: وصاحب البدعة أكثر من يقع في الفتن، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٥)،

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللالكائي ج ١ ص ٩٢

(٢) رواه البخاري في كتاب الفرائض، باب إثم من تبرأ من مواليه ج ٨ ص ١٥٤ برقم ٦٧٥٥، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة ج ٢ ص ٩٩٤ برقم ١٣٧٠

(٣) الاعتصام ج ١ ص ٧٢

(٤) سورة الأنعام ١٥٩

(٥) سورة النور ٦٣



نحو استقامة فكرية وحياتية

٥٨

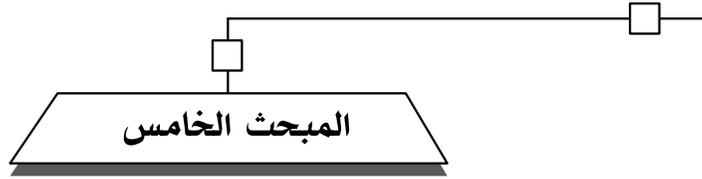
وهل هناك فتنة أخطر من مخالفة سنة رسول الله ﷺ، وعصيان أمره، وإحداث شيء في الدين لم يشرعه الله ورسوله ﷺ؟!!!^(١).

هذه الآثار تحصل لكل مبتدع فكريا وعقديا سواء كان من الغلاة أو المرجئة أو العقلانيين ونحوهم فليحذر الشاب من التلوث بتلك المبتدعات الفكرية والعقدية وليسلم بدينه قبل أن يقابل ربه.. نسأل الله العفو والعافية.



(١) وللاستفادة والاستزادة الاطلاع على كتاب الاعتصام للشاطبي، ودعوة أهل البدع لخالد الزهراني، والمقال المنشور على الرابط:
<http://www.alimam.ws/ref/2491>





فكر التطرف والغلو. مفهومه، ذمّه في الشريعة، آثاره

مفهوم الغلو في اللغة: مادة الكلمة من الغين واللام والحرف المعتل. وهو مجاوزة الحدّ. قال في لسان العرب: غلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده^(١).

مفهوم الغلو في الاصطلاح: الإفراط ومجاوزة الحد الشرعي في أمر من أمور الدين^(٢). ويقع الغلو في: الاعتقاد و الأعمال والأشخاص. والفكر جزء من الاعتقاد فالغلو في الفكر يسبب الغلو ومجاوزة الحد في هذه الأمور كلها.. بل ويرتب على ذلك أموراً عملية كما هي آثاره.

وقيل : الغلو نوعان:

الأول: غلو اعتقادي: كغلو النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام، وغلو الرافضة في الأئمة، وغلو الصوفية في الأولياء، وغلو الخوارج في تكفير أهل الإسلام.

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٧٩ مادة (غلا)

(٢) تفسير البغوي ج ٢ ص ٣١٤



نحو استقامة فكرية وحياتية



والثاني: غلو عملي: وهو المتعلق بالأمر العملية التفصيلية من الأقوال والأفعال بما لا يترتب عليه اعتقاد مثل رمي الجمار بالحصى الكبيرة، والزيادة في العبادات كالوصال في الصوم والتبتل بعدم الزواج والرهبة في الدين...

ذم الغلو في الشريعة:

لقد ذم الله تعالى الغلو في الدين ونهى عنه، فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ...﴾^(١).

وقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٢).

وقال ﷺ: «لا تشددوا فيشدد الله عليكم، فإن من كان قبلكم شددوا فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم»^(٣).

بل حذر النبي ﷺ من الغلو في أحاديث كثيرة؛ منها ما رواه النسائي عن أبي العالبي قال: قال ابن عباس: قال لي رسول الله ﷺ عداة العقبة وهو على راحلته: هات القط لي. فلقطت له حصيات؛ هن حصيات الخذف، فلما وضعتهن في يده قال بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين^(٤).

(١) سورة النساء: ١٧١

(٢) سورة المائدة: ٧٧

(٣) رواه أبوداود في كتاب الأدب، باب النهي عن البغي وحسنه المحقق الأرنؤوط

ج ٧ ص ٢٦٥ برقم ٤٩٠٤

(٤) رواه النسائي في كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى وصححه الألباني =



فكر التطرف والغلو. مفهومه، ذمّه في الشريعة، آثاره

وقال ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ». قَالَهَا ثَلَاثًا^(١).

وفي كلام نفيس للشاطبي حول هذا المعنى يقول فيه ﷺ: وإلى هذا المعنى يشير حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا لأنفسكم عبادة الله؛ فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»^(٢).

فشبه الموجل بالعنف بالمنبت، وهو المنقطع في بعض الطريق - لأنه عنف في أوله - تعنيفاً على الظهر - وهو المركوب - حتى وقف فلم يقدر على السير، ولو رفق بدابته؛ لوصل إلى رأس المسافة. فكذلك الإنسان؛ عمره مسافة، والغاية الموت، ودابته نفسه، فكما هو المطلوب بالرفق على الدابة حتى يصل بها؛ فكذلك هو مطلوب بالرفق بنفسه حتى يسهل عليها قطع مسافة العمر بحمل التكليف، فنهى في الحديث عن التسبب في تبغيض العبادة للنفس، وما نهى الشرع عنه لا يكون حسناً.

ثم قال ﷺ: هذا نهى عن التعسير الذي التزام الحرج في التعبد نوع منه^(٣).

قال مالك بن أنس رضي الله عنه: «إن أقواما ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم، فخرجوا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأسيا فهم، ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك»^(٤).

= ج ٥ ص ٢٦٨ برقم ٣٠٥٧.

(١) رواه مسلم في كتاب العلم، باب هلك المتنتععون ج ٤ ص ٢٠٥٥ برقم ٢٦٧٠
(٢) الحديث رواه البيهقي بنحوه ج ٣ ص ١٩، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ج ٥ ص ٥٠١

(٣) الاعتصام ج ١ ص ٣٩٠

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ٣٩٢.



والغلو في الفكر والحكم على الحوادث والأشخاص هو البوابة لهذا، وليس أدل على ذلك من حديث النبي ﷺ حينما قال في الخوارج كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرَّيشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ»^(١). وفي رواية: «فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ، إِلَى نَصْلِهِ، إِلَى رِصَافِهِ، فَيَتَمَارَى فِي الْفُوقَةِ هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ»^(٢).

قال النووي رحمه الله: وفي هذا الحديث معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ، فإنه أخبر بهذا وجرى كله كفلق الصبح، ويتضمن بقاء الأمة بعده ﷺ، وأن لهم شوكة وقوة خلاف ما كان المبطلون يشيعونه، وأنهم يفترقون فرقتين، وأنه يخرج عليه طائفة مارقة، وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، ويبالغون في الصلاة والقراءة ولا يقيمون بحقوق الإسلام، بل يمرقون منه، وأنهم يقاتلون أهل الحق وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلا صفة يده كذا وكذا، فهذه أنواع من المعجزات جرت كلها والله أعلم^(٣).

- (١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب إثم من رآى بقراءة القرآن أوتأكل به أو فخر به ج ٦ ص ١٩٧ برقم ٥٠٥٨
- (٢) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدنين بعد إقامة الحجة عليهم ج ٩ ص ١٦ برقم ٦٩٣١
- (٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ١٣٦ عند التعليق على حديث رقم ١٣٤٦



فكر التطرف والغلو. مفهومه، ذمّه في الشريعة، آثاره

آثار الغلو والتطرف:

والحديث هنا عن آثار الفكر المتطرف وفكر الغلاة.. فإنّ للفكر المتطرف آثاراً سيئة على الفرد المتلبس به، وعلى المجتمع حوله، بل وعلى الأمة بأكملها، ومن هذه الآثار ما يلي:

أولاً: التساهل في التكفير بالشبهة والظنّة والأمور المختلف فيها، والنبى ﷺ يقول: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»^(١). وفي رواية لمسلم «.. إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعْتَ عَلَيْهِ»^(٢).

هذا التساهل بالتكفير نتج عنه آثار سيئة جدا منها تكفير الحكام بل و العلماء الذين يعملون في تلك الدول، بل وأعظم من ذلك وصل الغلو ببعضهم إلى تكفير المجتمعات الإسلامية بأسرها بشبه غير قائمة على دليل شرعي قطعي، بل حتى ظني يصلح للاستدلال!

ولذا نجد أنّ النبي ﷺ حذّر من التساهل في هذا الأمر، حتى لا ينجس المسلم إلى تلك العواقب الوخيمة، فقيّد الخروج على الحاكم المسلم بقوله عليه الصلاة والسلام: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بَرَهَانٌ»^(٣).

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأييل فهو كما قال برقم ٦١٠٤ ج ٨ ص ٢٦، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال

لأخيه المسلم ياكافر ج ١ ص ٧٩ برقم ٦٠

(٢) رواه مسلم برقم ٦٠ ج ١ ص ٧٩

(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أموراً تنكرونها ج ٩ ص ٤٧ برقم ٧٠٥٥ ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ج ٣ ص ١٤٧٠ برقم

١٧٠٩



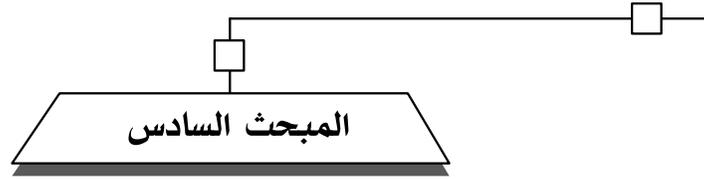
بواحا يعنى ظاهراً لا لبس فيه ليس منقولاً.. عندكم من الله فيه برهان
أي حجة قاطعة ليس مبنياً على الظنة والشبهة..

ثانياً: التفرق والتحزب، وتدمير المجتمعات الإسلامية، ومحاربتها
ونقل الحروب والفتن إليها، وما يصحب ذلك من آثار مدمرة من تسلط
قوى الكفر، وانتهاك الحرمات والأعراض للمسلمين الآمنين، وهذا واقع
مشاهد لا ينكره عاقل.

ثالثاً: ظلم العباد وما يترتب على ذلك من المخاصمة في الآخرة فهذا
المكفر بغير حق (الذي وقع عليه التكفير) لن يسكت على ظلم المكفر له
وسيحاجه أمام رب العالمين وإذا الله يقتصر لمن تكلم في حقه فكيف لمن
كفر بغير حق في يوم يجعل الولدان شيباً. ولعمر الله إن هذا ليكفي لردع
المؤمن التقي الورع عن الخوض في غمار التكفير بغير حق!

والآثار لهذا الفكر كثيرة لكن هذه أبرزها خسران في الدنيا والآخرة
والعياذ بالله تعالى..





فكر الإرجاء

مفهومه :

الإرجاء في اللغة بمعنى التأخير، أرجأه يعني أخره^(١).

وفي الاصطلاح: استقر المعنى الاصطلاحي للمرجئة عند السلف على المعنى الثاني "إرجاء الفقهاء"، وهو القول بأن: الإيمان هو التصديق أو التصديق والقول، أو الإيمان قول بلا عمل^(٢)، "أي إخراج الأعمال من مسمى الإيمان"، وعليه فإن: من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان، من قال بهذه الأمور أو بعضها فهو مرجئ^(٣).

ثم أطلق الإرجاء على أصناف أخرى كالجهمية القائلين: بأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكرامية القائلين: بأن الإيمان هو قول اللسان فقط^(٤).

(١) مختار الصحاح (رج أ) ج ١ ص ١١٨

(٢) المرجئة، د محمد الاحم ص ٣٩

(٣) شرح السنة للبعوي ج ١ ص ٤١، والفتاوى ج ٧ ص ٦٦٦

(٤) القدريّة والمرجئة د ناصر العقل ص ٧٧



قال شيخ الإسلام ابن تيمية: المرجئة والجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية والكرامية، قالوا: ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة، ولا ترك المحظورات البدنية فإن الإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان، بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع المؤمنين من الملائكة والمقتصد والمقربين والظالمين. اهـ^(١).

إذاً المرجئة باختصار قسمان:

الأول مرجئة الفقهاء: وهم الذين يرون أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب، لا يزيد ولا ينقص، والأعمال الصالحة ثمرات الإيمان وشرائعه. وهؤلاء الخلاف مع بعضهم قد يكون خلافاً لفظياً لا في النتائج.

الثاني: مرجئة المتكلمين: وهم الجهمية ومن تابعهم من الماتريدية والأشاعرة، وليس بين كلام الجهمية والمرجئة كبير فرق، حيث قالت الجهمية: الإيمان المعرفة بالقلب، وقالت المرجئة: الإقرار باللسان - أي مع اعتقاد القلب! وهذا القسم أو المتأثرون فيه من الخطورة بمكان.

خطر فكر الإرجاء وآثاره السيئة:

لم يكن فكر الإرجاء مجرد أفكار تجريدية لا تتصل بالواقع، بل كان ظاهرة لها آثار خطيرة في واقع المسلمين؛ ومن تلك الآثار:

الأول: أن فكر الإرجاء بدعة في الدين، وخروج عن إجماع أئمة المسلمين، ولذلك حذر منه أئمة الإسلام أشد التحذير.

قال شيخ الإسلام: «فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء، حتى قال

(١) الفتاوى ج ١٢ ص ٤٧١



فكر الإرجاء

٦٧

إبراهيم النخعي: لفتنتهم - يعني المرجئة - أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة.

وقال الزهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء.

وقال الأوزاعي: كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان: ليس شيء من الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء. وقال شريك القاضي وذكر المرجئة فقال: هم أخبث قوم حسبك بالرافضة خبثاً، ولكن المرجئة يكذبون على الله...". اهـ^(١)

ثانياً: ضياع معالم الدين الحق، والاستهانة بارتكاب المعاصي مع اعتقاد كمال الإيمان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه، حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمناً كامل الإيمان بقلبه، وهو مع هذا يسب الله ورسوله، ويعادي الله ورسوله، ويعادي أولياء الله، ويوالي أعداء الله، ويقتل الأنبياء، ويهدم المساجد، ويهين المصاحف، ويكرّم الكفار غاية الكرامة، ويهين المؤمنين غاية الإهانة. قالوا: وهذه كلّها معاصٍ لا تنافي الإيمان الذي في قلبه، بل يفعل هذا، وهو في الباطن عند الله مؤمن. قالوا: وإنما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار؛ لأن هذه الأقوال أمارة على الكفر ليحكم بالظاهر، كما يحكم بالإقرار والشهود، وإن كان الباطن قد يكون بخلاف ما أقرّ به وبخلاف ما شهد به الشهود"^(٢).

(١) الفتاوى ج ١ ص ٣٩٤

(٢) المرجع السابق.



ثالثاً: الوقوف في وجه كل دعوة إصلاحية تهدف إلى تبصير المسلمين بمعالم الهدى، وسلوك الصراط المستقيم، فقد اصطدمت هذه الفكرة - فكرة الإرجاء - بالعقيدة السلفية بطبيعة الحال، وجرى بين المنهجين جولات ومعارك، أبرزها المعركة التي دارت أيام شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم الجولة التي دارت بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما تزال المعركة قائمة على أشدها، وما يزال مذهب المرجئة هو الطاغية على أكثر بقاع العالم الإسلامي. وهكذا ظلت هذه القضية هي جوهر كل الدعاوى التي أشهرها المؤلفون الإرجائيون على عقيدة أهل السنة والجماعة باسم الرد على ما أسموه الوهابية، كما أنها ظلت كذلك بعد استفحال شرك التشريع، وظهور الدعاة الذين أعلنوا أن تحكيم غير شرع الله كفر أكبر ينافي شهادة أن لا إله إلا الله^(١).

رابعاً: الجرأة على دين الله سبحانه وتعالى سخرية واستهزاء، وأصبح هذا ميداناً للزعماء والمفكرين، وملهاةً للشعراء والصحفيين، وجرت ألفاظ الاستهزاء على ألسنة العوام، فأصبحت في بعض الأحيان والبلدان كالسلام!!^(٢).

خامساً: التهيئة لنفاذ الغزو الفكري والعسكري الأجنبي إلى بلاد المسلمين، ونجاحه في تشويه الإسلام؛ عقيدةً وشريعةً، وإبعاده عن واقع الحياة، وإثارة الشبهات والشهوات، وإشغال الأمة بها، وتدمير مرتكزات الأمة الأخلاقية والاقتصادية والعلمية، وإضعاف روح الولاء لله ولرسوله

(١) الأمن الفكري في الإسلام د إبراهيم الزهراني.

(٢) انظر: المرجع السابق، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة علي بن بخت الزهراني.



فكر الإرجاء

٦٩

وللمؤمنين^(١).

سادساً: أنّ هذا الفكر يؤدي التماذي فيه إلى الزندقة والإلحاد، ألم يقل الله عن فرعون وقومه وهم أكفر خلق الله ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(٢). فهم مقرون داخل أنفسهم أنها شريعة موسى وأنّ آيات الله حق! لكنهم جحدوا بها ظلماً وكبراً وعناداً.

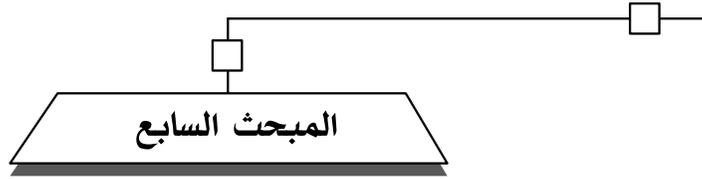


(١) الأمن الفكري في الإسلام د إبراهيم الزهراني.

(٢) سورة النمل ١٤







فكر الإلحاد

مفهومه. الإلحاد هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة^(١).

فكل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق هذا الكون سبحانه وتعالى، سواء أكان عند المتقدمين من الدهرية أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيين الماركسيين، بمعنى أن وصف الإلحاد يشمل كل من لم يؤمن بالله تعالى، ويزعم أن الكون وجد بذاته في الأزل نتيجة تفاعلات جاءت عن طريق الصدفة دون تحديد وقت لها، واعتقاد أن ما وصل إليه الإنسان منذ أن

(١) انظر: الموسوعة الميسرة / الندوة العالمية للشباب الإسلامي، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة لـ د. علوي السقاف موقع الدرر السنية.



وجد وعلى امتداد التاريخ من أحوال في كل شؤونه إنما وجد عن طريق التطور لا أن هناك قوة إلهية تدبره وتتصرف فيه.

نشأته وخطورته: ولا ريب أن الإلحاد فكرة شيطانية باطلة، لا يقبلها عقل ولا منطق غداها اليهود لتحطيم حضارات وأديان العالم كلهم، لإقامة حكمهم في الأرض كلها كما دونوه في كتبهم. وقد يسأل سائل فيقول وما مصلحة اليهود من وراء ظهور الإلحاد؟، والجواب هو إضافة إلى ما سبق فإن اليهود يبغضون ديانات العالم كله، والعالم يبغض ديانة اليهود، فإذا تمكن اليهود من إبعاد الناس عن حضاراتهم ودياناتهم واستبدلوا عن ذلك بالإلحاد فإنه سيسهل حينئذ أن يتقارب اليهود مع غيرهم وسيسهل قيادتهم أيضاً إلى تحقيق المخططات اليهودية التي تنتظر التنفيذ.

ولم يكن أحد من البشر منذ أن أوجدهم الله تعالى مستيقنا حقيقة إنكار وجود الله تعالى، ولم يظهر في شكل مذهب أو دول. وإنما كان ظهوره في شكل نزعات لبعض الأشرار الشواذ إلى أن ظهرت الفلسفة الإلحادية الحديثة المنحرفة على يدي "ماركس" ورفاقه من اليهود الماسون الذين كانوا وراء إشعال هذه الفتنة الإلحادية لمآرب سياسية ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤) (١).

وقد علا شأن الإلحاد في عهد "ماركس"، وعهد من جاء بعده علوا كبيرا إلى عهد آخر رئيس لما كان يسمى بالإتحاد السوفيتي، وهو "ميخائيل جورباتشوف" فأراد الله عز وجل أن يظهر كذب الملاحدة، فإذا بالشيوعية - التي تمثل قمة الإلحاد تموت في عقر دارها - وإذا بالشعوب المقهورة تعود إلى الاحتفال والإحتفاء بالأديان، وتعلن ما كانت تخفيه

(١) سورة النمل: ١٤



من حب الله وأنبيائه ورسله ورجعوا إلى المساجد والكنائس وسائر المعابد معلنين رفضهم الفكر المادي الإلحادي، و في بعض تلك الدول التي كانت تعلن الشيوعية والإلحاد شنقوا تماثيل بعض أقطاب الإلحاد الشيوعي تشفياً منهم. مما يدل دلالة صريحة على أن فكرة الإلحاد فكرة طارئة سخيفة، لا مكان لها إلا في قلوب فئة من شواذ الناس ماتت نفوسهم وانحرفت فطرهم وكابروا عقولهم^(١).

والملحد والعياذ بالله يعتبر أكفر من كفار قريش وصناديدها، لأنه يكفر حتى بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، ذلك بأنه ينكر وجود الله تعالى بينما كفار قريش لا يكفرون إلا بتوحيد الألوهية.. أي أنهم يؤمنون بوجود الله تعالى لكنهم يعبدون غيره من الأصنام كما قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى.

والملحد لديه نزعة إجرامية خطيرة، لأنه فكر أناني لا يرى لغيره أيّاً كان حقاً من الحقوق، فهو غليظ القلب عديم الإحساس قد فقد الوازع الذي يردعه عن الظلم ويأمره بالإحسان والرحمة..

والملحد والعياذ بالله مطية لأعداء الإسلام، لأنهم يتحكمون به من خلال شهواته.. فالبهيمة أكرم منه.. وإذا كان الله تعالى وصف المشركين بأنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، فكيف بمن هو أكفر منهم من الملحد.

والملحد إذا لم يتب ويسلم خسر الدنيا والآخرة.. فلا استقرار له في الدنيا ولا اطمئنان ولذا يموت كثير منهم منتحراً.."، وفي دراسة بحثية عام ٢٠٠٢م لنسبة الانتحار مقارنةً بالأديان - وقد اعتمد فيها الباحثان خوسيه مانويل وأليكساندرا فليشمان على مراجع الأمم المتحدة - حيث

(١) المراجع السابقة.



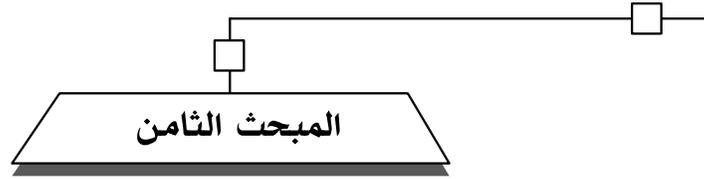
جاء الملحدون كأعلى نسبة في الانتحار! في حين جاء المسلمون في أدنى نسبة للانتحار، وبصورة لفتت نظر الباحثين أنفسهم حتى علقا عليها قائلين: "إن نسبة الانتحار في الدول الإسلامية تكاد تقترب من الصفر، وسبب ذلك أن الدين الإسلامي يُحرم الانتحار بشدة" - وعلى هذا كانت توصياتهم للحد من الأعداد المتزايدة للانتحار سنويا هي: التحذير من الإقدام على الانتحار - تعاهد من لديهم ميول للانتحار بمزيد الاهتمام والرعاية النفسية - وضع عقوبات صارمة لمن يحاول الانتحار. وهي نفس خلاصة ما تناول به الإسلام مسألة الانتحار من ١٤٠٠ عام.

فإذا كان الملحدي يعيش ضنكاً في الدنيا يؤدي به إلى الانتحار - والعياذ بالله - فما الظن بمن هو أكفر من كفار قريش أن يكون مصيره في الآخرة؟!!

والخلاصة أن: الإلحاد مذهب فلسفي يقوم على إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، ويذهب إلى أن الكون بلا خالق، ويعد أتباع العقلانية هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد الذي ينكر الحياة الآخرة، ويرى أن المادة أزلية أبدية، وأنه لا يوجد شيء اسمه معجزات الأنبياء، فذلك مما لا يقبله العلم في زعم الملحدين، الذين لا يعترفون أيضاً بأية مفاهيم أخلاقية ولا بقيم الحق والعدل ولا بفكرة الروح. ولذا فإن التاريخ عند الملحدين هو صورة للجرائم والحماقات وخيبة الأمل وقصته ولا تعني شيئاً، والإنسان مجرد مادة تطبق عليه كافة القوانين الطبيعية وكل ذلك مما ينبغي أن يحذره الشاب المسلم عندما يطالع أفكار هذا المذهب الخبيث^(١).

(١) انظر: الموسوعة الميسرة / الندوة العالمية للشباب الإسلامي، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة لد علوي السقاف موقع الدرر السنينة.





أمثلة على قواعد فكرية منحرفة

تقديم العقل على النص:

وهذا أصل عند كل مبتدع في العقائد أو ملوٲ في الفكر.. فتجد المفتون بمثل هذا يقُدس عقله بجرأة بالغة.. ويضرب بنصوص الكتاب والسنة عرض الحائط.. ونسي هذا المخلوق الضعيف أنّ النصوص (منزلة) من خالق العقل فيال سخف بعض عقول بني آدم!!.

ولعلّ من أوضح الأمثلة على ذلك مارواه عبيد الله بن معاذ عن أبيه أنّه سمع عمرو بن عبيد - إمام المعتزلة - يقول وذكر حديث الصادق المصدوق: إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك... الخ الحديث. قال المعتزلي: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبتة!! ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته!! ولو سمعت ابن مسعود يقول هذا لما قبلته!! ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته!! ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخطأنا!!^(١).

(١) سير أعلام النبلاء ج٦ ص١٠٤، ومنهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة =



وقال عمرو بن عبيد أيضاً: "لو كانت تبت يدا أبي لهب وتب في اللوح المحفوظ لم يكن على العباد حجة!!" (٢).

فانظر - رعاك الله - كيف قاده عقله إلى فكر الزندقة لمجرد رد عقله لنصوص غيبية من الوحي!!؟! .. وانظر كيف دار الزمان وأثبت الطب مصداق حديث الصادق المصدوق عليه السلام وبقيت الحسرة على من كذب الوحي وردّه لمجرد مخالفة العقل!!؟!

لا يجوز مطلقاً استعمال العقل في مخالفة النص، وإنما نفهم النص بالعقل، لا نرده ولا نخالفه، ولذا لما اعترض بعضهم عند وكيع رضي الله عنه في قضية إشعار الهدي غضباً شديداً، وقال: أقول لك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول: قال فلان مثله وتشويهه، قال فلان: مثله، ما أحقك بأن تحبس ثم لا تخرج حتى تنزع عن قولك هذا.

النصوص عند أصحاب الفكر السليم مقدّسة تقدم على عقل الإنسان الضعيف قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٤).

العقل لا يمكنه أن يخترق حجب الغيب، لا يمكنه أن يعرف

= والمبتدعة لد أحمد الصويان ص ٨٥، وعمرو بن عبيد يعدد هنا رواية الحديث.. فكذب الحديث، وكذب الرواة لمجرد أنه تعارض مع عقله!!

(٢) المراجع السابقة.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٦

(٤) سورة النساء: ٦٥



المستقبل، العقل قاصر!!، العقل محدود!!

في الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه). وقد ورد عن الشافعي رحمته الله قوله رحمته الله: "يسقط كل شيء خالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يقوم معه رأي ولا قياس؛ فإن الله قطع العذر بقوله صلى الله عليه وسلم". وقال أبو الطاهر السلفي رحمته الله: "كل من رد ما صح من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتلقه بالقبول ضلّ وغوى؛ إذ كان صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى". وقال شيخ الإسلام رحمته الله: "وسائر المسلمين متفقون على أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا تدركه كل الناس بعقولهم، ولو أدركوه بعقولهم لاستغنوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم"^(١).

ومن القواعد المتفق عليها عند أهل العلم أنه لا يمكن تعارض عقل صريح سليم مع نص صحيح.. ومن أنجع الكتب التي أثبتت هذا - السفر العظيم الذي ألفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله درء تعارض العقل والنقل.

وقد ذكر رحمته الله في الفصل الأول بضعة عشر جواباً على قول القائل: "إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية... إلخ" من أجملها:

أنه يجب تقديم الشرع عند مظنة التعارض أن يقال إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به و الشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، و لا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل.

و معلوم أنّ هذا إذا قيل أوجه من قولهم كما قال بعضهم: يكفيك من العقل أن يعلمك صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاني كلامه، و بين ابن تيمية رحمته الله

(١) درء تعارض العقل والنقل ج ٥ ص ٢٩٧



نحو استقامة فكرية وحياتية

٧٨

في هذا الوجه أن معارضة الشرع للعقل ليس فيه حجة على تقديم آراء العقلاء على الشرع !

وأنّ تقديم المعقول على الدلالة الشرعية ممتنع متناقض، و أما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف.

فلو قيل بتقديم العقل على الشرع، و ليست العقول شيئاً واحداً بينا بنفسه بل فيه الاختلاف و الاضطراب و أما الشرع فهو في نفسه قول الصادق و هذه صفة لازمة له لا تنفك عنه و لا تختلف باختلاف الناس.

وأيضاً: إلى عقل من نحتكم عند النزاع؟

وهو أن يقال: القول بتقديم الإنسان معقولة على النصوص النبوية قول لا ينضبط، وذلك لأن أهل الكلام و الفلسفة المتنازعين فيما يسمونه عقليات كل منهم يقول: " إنه يعلم بضرورة العقل أو بنظره ما يدعى الآخر أن المعلوم بضرورة العقل أو بنظره نقيضه.

بل كل ما عارض الشرع علم فسادَه بالعقل و من تأمل ذلك وجد في المعقول مما يعلم فساد المعقول المخالف للشرع ما لا يعلمه إلا الله^(١).

وبذلك يتبين بطلان منهج تقديم العقل على النصوص.. وأنه لامناص من طالب الحق وصاحب الفكر السوي من منهج متكامل للتلقي والاستدلال سأعرض جزءاً منه في مبحث قادم إن شاء الله.

(١) درء تعارض العقل والنقل ملخص من الفصل الأول.



تتبع الرخص.

لا بد من العلم أن الرخص نوعان:

الأول: رخص شرعية ثابتة بالكتاب أو السنة، كالقصر والجمع في السفر، وأكل الميتة عند الاضطرار، فهذه يستحب الأخذ بها إذا وجد سببها بل قد يجب أحياناً.

والثاني: رخص المذاهب الفقهية، وهي فتوى عالم بالجواز في مسألة خلافية قال غيره فيها بالمنع والحظر.

وتتبع مثل هذه الرخص أخذاً بالأيسر مطلقاً، دون مرجح شرعي، ودون تقليد العامي لمن يظنه الأعلم، بل على سبيل التشهي واتباع الهوى - منكر لا يجوز، وحكى ابن عبد البر وابن حزم الإجماع على ذلك^(١).

والفاعل لذلك يجتمع فيه الشر كله، إذ أصبحت من الأصول الضالة عند بعض أصحاب الأفكار المختلفة تتبع الرخص الفقهية بقصد التشهي، فتجده يتتبع مواطن الخلاف، ويأخذ حسب ما يمليه عليه هواه غير مكترث بالأدلة الشرعية.

فخالف الإجماع بل لم يدرك هذا المتشهي أن الله تعالى أمر بالرد إليه وإلى رسوله ﷺ، واختيار المقلد بالهوى والتشهي مضاد للرجوع إلى الله ورسوله.

وتتبع الرخص مؤدٍ إلى إسقاط التكليف في كل مسألة مختلف فيها؛ لأن له أن يفعل ما يشاء ويختار ما يشاء، إذاً فهو عين إسقاط التكليف،

(١) مراتب الإجماع ص ٥٨، وجامع بيان العلم ج ٢ ص ٩٢٧



فلا بد من منعه سداً للذريعة.

ومن مقاصد الشرع إخراج الإنسان عن داعية هواه، والقول بإباحة تتبع الرخص فيه حث لإبقاء الإنسان فيما يحقق هواه.

وهذا المتتبع للرخص قد ينسلخ من الدين بترك اتباع الدليل إلى اتباع الخلاف، ثم إنه لا يوجد محرّم إلا وهناك من قال بإباحته إلا ما ندر من المسائل المجمع عليها، وهي نادرة جداً. وتتبع الرخص يؤدي إلى انخرام قانون السياسة الشرعية بترك الانضباط إلى أمرٍ معروف، فتضيع الحقوق، وتعطل الحدود، ويجترئ أهل الفساد^(١).

ولو سأل سائل إذاً فكيف يختار المسلم الرأي الصواب في المسائل المختلف فيها؟

فيقال له: إذا كان المسلم عنده من العلم ما يستطيع به أن يقارن بين أقوال العلماء بالأدلة، والترجيح بينها، ومعرفة الأصح والأرجح وجب عليه ذلك، لأن الله تعالى أمر برد المسائل المتنازع فيها إلى الكتاب والسنة، فقال: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٢). فيرد المسائل المختلف فيها للكتاب والسنة، فما ظهر له رجحانه بالدليل أخذ به، لأن الواجب هو اتباع الدليل، وأقوال العلماء يستعان بها على فهم الأدلة.

وأما إذا كان المسلم ليس عنده من العلم ما يستطيع به الترجيح بين أقوال العلماء، فهذا عليه أن يسأل أهل العلم الذين يوثق بعلمهم ودينهم

(١) الموافقات ج ٥ ص ٨٢، وبحث تتبع الرخص لد هشام السعيد منشور عبر الشبكة.

(٢) النساء: ٥٩



أمثلة على قواعد فكرية منحرفة

٨١

ويعمل بما يفتونه به، قال الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) (١). وقد نص العلماء على أن مذهب العامي مذهب مفتيه.

فإذا اختلفت أقوالهم فإنه يتبع منهم الأوثق والأعلم، وهذا كما أن الإنسان إذا أصيب بمرض - عافانا الله جميعا - فإنه يبحث عن أوثق الأطباء وأعلمهم ويذهب إليه لأنه يكون أقرب إلى الصواب من غيره، فأمور الدين أولى بالاحتياط من أمور الدنيا. ولا يجوز للمسلم أن يأخذ من أقوال العلماء ما يوافق هواه ولو خالف الدليل، ولا أن يستفتي من يرى أنهم يتساهلون في الفتوى. حتى لا يقع في المحاذير. بل عليه أن يحتاط لدينه فيسأل من أهل العلم من هو أكثر علماً، وأشد خشية لله تعالى (٢).

وهاتان المسألتان أعني - تقديم العقل على النص، وتتبع الرخص - عمادهما الهوى الذي هو من أسباب الانحراف الفكري كما تقدم ذلك.

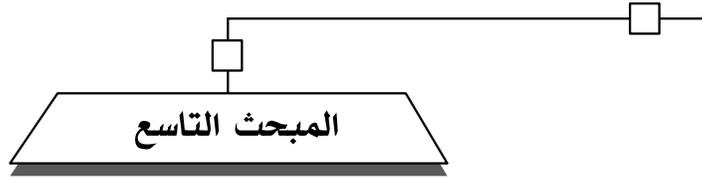


(١) الأنبياء: ٤٣

(٢) الخلاف بين العلماء للشيخ ابن عثيمين ص ٢٦. وقد ناقش ابن القيم هذه المسائل باستفاضة في كتابه إعلام الموقعين فليراجعها من أراد الاستزادة.







منهج السلف في تلقي الأمور الفكرية والعقدية^(١)

يعتمد هذا المنهج على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح.. وعلى ذلك دلت النصوص المتواترة.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢).

وقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (٣). وقوله: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٤).

(١) هذا المبحث ملخص من كتاب منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة للدكتور أحمد الصويان ص ٢٩ وما بعدها، وهو كتاب مفيد في هذا الباب جداً، ومن مقالات منهج أهل السنة والجماعة في التلقي والاستدلال لمحمود العشري منشور على شبكة الألوكة.

(٢) سورة النساء: ٥٩

(٣) الشورى: ١٠

(٤) الحشر: ٧



بل والاعتماد على هذه المصادر المعصومة هو أساس دين الإسلام ويرتكز على المصادر المعصومة، ويرتكز على هذه الأصول الثلاثة:

الأصل الأول: تعظيم النصوص الشرعية والانقياد لها:

إن أصل دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين: الاستسلام والخضوع والانقياد؛ قال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾^(١)، وحقيقة الاستسلام: تعظيم أمر الله ونهيه، والإذعان لهما، والوقوف عند حدود الله وما أنزل على نبيه ﷺ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(٢) فكل ما أمر به الشارع أو نهى عنه فحقه التعظيم والإجلال والامتنال، وهذا هو طريق الفلاح والفوز؛ قال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٣).

وقد نهى الله - سبحانه وتعالى - عن التقديم بين يدي الله ورسوله؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٤)، فإذا جاء أمر الله - سبحانه وتعالى - فلا مجال للاختيار أو التردد، بل التسليم والانقياد؛ قال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(٥).

(١) الزمر: ٥٤

(٢) الحج: ٣٠

(٣) النور: ٥٢

(٤) الحجرات: ١

(٥) الأحزاب: ٣٦



منهج السلف في تلقي الأمور الفكرية والعقدية

وقد توعدَّ الله - سبحانه وتعالى - المخالفين لأمره فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١)، وذمَّ الله - سبحانه وتعالى - مَنْ لا يُعْظِمُهُ ولا يَمْتَثِلُ لأمره ونهيه؛ فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾^(٢).

وقد سَطَّرَ السلف الصالح رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الصفات في الالتزام بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه والوقوف عند حدوده بدون زيادة ولا نقصان، وقد ظهرت دلائل ذلك في عدَّة أمور:

أولاً: تَعْظِيمُ كَلَامِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تمنعوا إماء الله المساجد إذا استأذنتكم إليها»، فقال بلال بن عبد الله: والله لمنعهنَّ، فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبًّا سيئًا لم يُسبَّه مثله قط، وقال: أُخبرك عن رسول الله وتقول لمنعهنَّ؟!^(٣) وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: تمتَّع النبي صلى الله عليه وسلم فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المُتعة، فقال ابن عباس: ما يقوله عروة؟! أراهم سيهلكون؟ أقول قال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: نهى أبو بكر وعمر!^(٤)

ثانياً: التثبُّت في فعل السنَّة؛ فقد كان الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح شديدي التثبُّت والتحري والتوقِّي في فعل السنَّة، فلا يفعلون شيئًا إلا بعلم، ولا يُحكِّمون آراءهم، ولا يَستَحسِنون بعقولهم عبادة لم تكن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم فهذا هو ذا رجل يَعتس إلى جنب ابن عمر فيقول: الحمد لله

(١) سورة النور: ٦٣

(٢) سورة نوح: ١٣

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنه وأنها لا تخرج مطيبة ج ١ ص ٣٢٧ برقم ٤٤٢

(٤) أخرجه الإمام أحمد ج ٣ ص ٣٥٢ برقم ٣١٢١ وصححه إسناده المحقق أحمد شاكر.



والسلام على رسول الله، فقال له ابن عمر: وأنا أقول: الحمد لله^(١).
ورأى سعيد بن المسيب رجلاً يُصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين
يُكثر فيهما الركوع والسجود فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يُعذّبني الله على
الصلاة؟! فقال: لا، ولكن يُعذّبك على خلاف السنّة^(٢).

قال الألباني رحمته الله: وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب رحمته الله
تعالى، وهو سلاح قوي على الذين يستحسنون كثيراً من البدع باسم أنها
ذكر و صلاة، ثم ينكرون على أهل السنة إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم
بأنهم ينكرون الذكر و الصلاة!! و هم في الحقيقة إنما ينكرون خلافهم
للسنة في الذكر و الصلاة و نحو ذلك^(٣).

الأصل الثاني: الاعتماد على السنّة الصحيحة:

أمر الله - سبحانه وتعالى - بطاعة نبيه رحمته الله في آيات كثيرة؛ منها قوله -
سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤)،
وثبت أن النبي رحمته الله قال: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»^(٥)، فكل ما ثبت
عن النبي رحمته الله فهو حقٌّ وصدق لا ريب فيه؛ كما قال - سبحانه وتعالى - :
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾^(٦).

- (١) أخرجه الترمذي في أبواب الأدب، باب ما يقول العاطس إذا عطس ج ٥ ص ٨١
برقم ٢٧٣٨ وحسنه الألباني.
- (٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ٤٧٧
- (٣) إرواء الغليل ج ٢ ص ٢٣٦
- (٤) سورة الحشر: ٧
- (٥) رواه أبوداود في كتاب السنة، باب لزوم السنة ج ٧ ص ١٣ رقم ٤٦٠٤ وصححه
الألباني.
- (٦) سورة النجم: ٣، ٤.



منهج السلف في تلقي الأمور الفكرية والعقدية

٨٧

وسنة النبي ﷺ هي الموضحة والمبينة لكتاب الله - سبحانه وتعالى - قال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (١).

ومرة كان عمران بن حصين رضي الله عنه جالساً ومعه أصحابه، فقال رجل من القوم: لا تحدثوا إلا بالقرآن، فقال له: ادنه، فدنا، فقال: أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً، وصلاة العصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً تقرأ في اثنتين؟! أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعاً والطواف بالصفة والمروة؟! ثم قال: أي قوم، خذوا عنا؛ فوالله إلا تفعلوا لتضلن (٢).

فالبيان التام - كما يقول شيخ الإسلام - هو ما بينه رسول الله ﷺ فإنه أعلم الخلق بالحق، وأنصح الخلق للخلق، وأفصح الخلق في بيان الحق، وكل قول خالف قوله، فهو إما دين منسوخ، وإما دين مبدل لم يُشرع قط (٣).

فتبين إذاً أن الاستدلال العلمي الصحيح يعتمد على الأحاديث الصحيحة والحسنة، وأما الأحاديث الموضوعية والضعيفة فلا يجوز الاستدلال بها، ويجب الحذر منها.

قال ابن قدامة: وأما الأحاديث الموضوعية التي وضعتها الزنادقة ليُلبسوا بها على أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة - إما لضعف رواتها أو جهالتهم أو لعلّة فيه - فلا يجوز أن يُقال بها ولا الاعتقاد فيها، بل وجودها كعدمها (٤).

(١) سورة النحل: ٤٤

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في الكفاية ص ١٥

(٣) منهاج السنة ج ٧ ص ٦١

(٤) ذم التأويل ص ٤٧



وقال شيخ الإسلام: الاستدلال بما لم تُعَلِّم صحَّته لا يجوز بالانفاق؛ فإنه قول بلا علم، وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع، وقال أيضًا: ولا يجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحةً ولا حسنةً^(١).

الأصل الثالث: صحَّة فهم النصوص:

إن صحَّة فهم النصوص الشرعية ركيزة أساسية لصحة الاستدلال، ولا يستطيع المرء أن يعرف مراد الله - سبحانه وتعالى - ومُرَاد رسوله ﷺ إلا حينما يستقيم فهمه لدلائل الكتاب والسنة، بل إن كثيرًا من البدع والضلالات لم تحدث إلا بسب سوء الفهم.

قال ابن القيم: صحَّة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عباده، بل ما أُعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق المغضوب عليهم الذين فسدت فهمهم ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقُصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا الله أن نسأله أن يهدينا إلى صراطهم في كل صلاة.

وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميِّز به بين الصحيح والفساد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغَيِّ والرشاد، ويمدُّه حسن القصد وتحرِّي الحق والصواب، وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع عنه أتباع الأهواء وإيثار الدنيا وطلب محمَّدة الخلق^(٢).

(١) منهاج السنة ج ٧ ص ٦٧

(٢) إعلام الموقعين ج ١ ص ١٣٠



منهج السلف في تلقي الأمور الفكرية والعقدية

وأما الأصول العلمية التي يجب الاعتماد عليها في فهم النصوص الشريفة ودراستها:

أولاً: الاعتماد على منهج الصحابة في الفهم:

للصحابه منزلة جليلة؛ فقد شرفهم الله - سبحانه وتعالى - وأعلى منزلتهم ورفع قدرهم ودرجاتهم وعدلهم من فوق سبع سماوات؛ قال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم (٢).

من أجل هذا، فإن فهم دلائل الكتاب والسنة إنما يؤخذ من الصحابة؛ ففيهم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم نزل الكتاب، فهم أعلم الناس بمُراد الله ومراد رسوله، خاصة بعد أن كثرت البدع، وقَلَّ العلم، وفسدت الفهوم، وهُجرت السنة.

وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (فإنه من يعش منكم بعدى، فسيروا اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عَصُوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة

(١) سورة التوبة: ١٠٠.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٩٤٧



نحو استقامة فكرية وحياتية

٩٠

بدعة^(١)، فَمَنْ فَسَّرَ الْكِتَابَ وَالْحَدِيثَ - كما يقول ابن تيمية - وتأوَّله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ، مُلْحِدٌ فِي آيَاتِهِ، مُحَرِّفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَهَذَا فَتْحُ لِبَابِ الزُّنْدُقَةِ وَالْإِلْحَادِ، وَهُوَ مَعْلُومُ الْبَطْلَانِ بِالْإِضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ^(٢).

ثانياً: معرفة اللغة العربية:

لكي نفهم دلائل الكتاب والسنة على الوجه الصحيح لا بد من معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن والتي خاطب بها رسول الله ﷺ أصحابه؛ ولهذا تواتر اعتناء علماء الأمة وأئمتها بلغة القرآن حتى يوضع خطاب الشارع في موضعه اللائق به شرعاً.

يقول ابن عبد البر: ومما يُستعان به على فهم الحديث العلم بلسان العرب ومواقع كلامها وسعة لغتها وأشعارها، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق أن يتعلموا السنة والفرائض، واللحن يعني: النحو، كما يتعلم القرآن^(٣).

ثالثاً: جمع النصوص الواردة في الباب الواحد:

تمثل النصوص الشرعية وحدة واحدة يكمل بعضها بعضاً، فلا تتضح المسألة حتى تستوفي جميع النصوص الواردة فيها، فالنصوص الثابتة تأتلف ولا تختلف؛ فكلها خرجت من مشكاة، ولا يمكن أن يرد التناقض بينها أو الاختلاف، ولهذا فقد وصف الله كتابه العزيز بقوله: ﴿... وَإِنَّهُ

(١) رواه أبوداود في كتاب السنة باب لزوم السنة ج٧ص١٧ برقم ٤٦٠٧ وقال المحقق الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) الفتاوى ج١٧ص٣٥٣

(٣) جامع بيان العلم وفضله ج٢ص١١٣٢



منهج السلف في تلقي الأمور الفكرية والعقدية

لَكِنَّا عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴿٤٢﴾ (١).

إذا تقرّر هذا؛ فإنه لا يجوز أن يؤخذ نصٌ ويُترك نصٌّ آخر في الباب نفسه؛ لأن هذا يؤدي إلى تقطيع النصوص وبترها؛ قال - سبحانه وتعالى - : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (٢). يقول الإمام أحمد: الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً (٣). ويقول شيخ الإسلام: إذا ميّز العالم بين ما قاله الرسول ﷺ وما لم يقله، فإنه يحتاج أن يفهم مراده ويفقه ما قاله، ويجمع بين الأحاديث ويضم كل شكل إلى شكله، فيجمع بين ما جمع الله ورسوله، ويفرق بين ما فرق الله ورسوله، فهذا هو العلم الذي ينتفع به المسلمون، ويجب تلقّيه وقبوله، وبه ساد أئمة المسلمين؛ كالأربعة وغيرهم ﷺ أجمعين (٤).

رابعاً: معرفة مقاصد التشريع:

من فضل الله ورحمته لهذه الأمة أن شرع جميع الأحكام لمقاصد وغايات عظيمة مبنية كلها على مصالح العباد في دنياهم وأخراهم؛ قال - سبحانه وتعالى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥).

قال شيخ الإسلام: الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشرّ

(١) فصلت: ٤١، ٤٢

(٢) سورة البقرة: ٨٥

(٣) الجامع لأخلاق الراوي ج ٢ ص ٢١٢

(٤) الفتاوى ج ٢٧ ص ٣١٦

(٥) سورة يونس: ٥٧



نحو استقامة فكرية وحياتية

٩٢

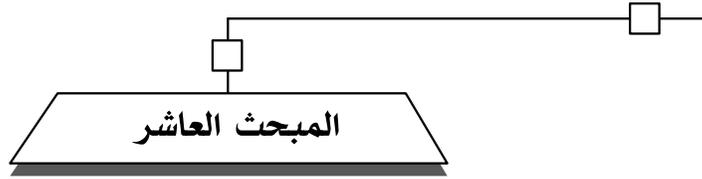
الشرّين؛ حتى يُقدّم عند التزاحم خيرُ الخيرين ويُدفع شرُّ الشرّين، وفوائد ذلك القدرة على الموازنة بين المصالح وتقدير المصلحة، وتقديم ما يجب تقديمه، والاجتهاد في النوازل^(١).

فانظر رعاك الله هذا المنهج الرباني، وتشبث به، وإياك أن تحيد عنه فتضل، كمن قدّم العقل واتبع الهوى وتتبع الرخص!



(١) إعلام الموقعين ج ٣ ص ١٤.





عوامل تعزيز الأمن الفكري

أ- الاعتصام بالكتب والسنة، وتأصيل مفهوم طاعة ولي الأمر و لزوم جماعة المسلمين:

مع الاضطرابات الفكرية، والمحن التي تعصف بالأمة، وتشتت الآراء، وآثار ذلك على الفرد والأمة، فإن المخرج منها بإذن الله هو بالاعتصام بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٤) (١).

الاعتصام بالكتاب والسنة أعظم فرائض الإسلام، وأجل أركانه، وبهما تتحقق للأمة والاعتصام بحبل الله المتين أمان من الزيغ والضلال، ويجمع الأمة تحت لواء -لا إله إلا الله، محمد رسول الله-، يُقَوِّي اللُّحمة، ويقتل

(١) آل عمران: ١٠٣



الأطماع، ويُسقطُ الرايات الزائفة، وبه نواجهُ مكرَ وكيدَ الأعداء.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تُنصِّحوا من ولّاه الله أمركم. ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(١).

وهذا الاعتصام يكون تحت راية إمام مسلم، والسمع والطاعة لولاية الأمر من المسلمين - في غير معصية - مجمع على وجوبه عند أهل السنة والجماعة وهو أصل من أصولهم التي باينوا بها أهل البدع والأهواء. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٣).

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة؛ لقي الله يوم القيامة ولا حُجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات . ج ٣ ص ١٣٤٠ برقم ١٧١٥

(٢) سورة النساء : ٥٨

(٣) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للأمرء مالم يؤمر بمعصية ج ٩ ص ٦٣ برقم ٧١٤٤

(٤) رواه مسلم في كتاب الأمانة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر ج ٣ ص ١٤٧٨ حديث رقم ١٨٥١



وقد نقل الإجماع على ذلك حرب الكرمانى - صاحب الإمام أحمد - حيث قال: "والانقياد لمن ولاة الله - عز وجل - أمركم، لا تنزع يداً من طاعته، ولا تخرج عليه، حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً، ولا تخرج على السلطان، وتسمع وتطيع، ولا تنكث بيعته، فمن فعل ذلك، فهو مبتدع مخالف للجماعة" (١)، يقول الحسن البصرى رضي الله عنه: "هؤلاء - يعني الملوك - وإن رقصت بهم المهاليج" (٢)، ووطئ الناس أعقابهم، فإن ذل المعصية في قلوبهم، إلا أن الحق ألزمت طاعتهم، ومنعنا من الخروج عليهم، وأمرنا أن نستدفع بالتوبة والدعاء مضرتهم، فمن أراد به خيراً لزم ذلك، وعمل به، ولم يخالفه" (٣).

وقد بين العلامة صدر الدين السلمى في رسالته: "طاعة السلطان" (٤)؛ الحكمة من تأكيد الشارع على وجوب السمع والطاعة للأئمة في غير معصية وتحذيره الشديد من مخالفة أمرهم كذلك فقال رحمه الله تعالى - : "وقد روينا في الأحاديث الصحاح التي بلغت حد التواتر - أو كادت أن تبلغه - : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة لولى الأمر ومناصحته ومحبته والدعاء له: ما لو ذكرناه لطل الكلام لكن اعلم - أرشدك الله وإياي إلي الإتياع، وجنبنا الزيغ والابتداع - : أن من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المحررة: أن طاعة الأئمة فرض على كل الرعية، وأن طاعة السلطان مقرونة بطاعة الرحمن، وأن طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم أمر المسلمين. وأن عصيان السلطان يهدم أركان الملة، أن أرفع

(١) نقلها ابن القيم في حادي الأرواح ص ٣٩٩ - ٤٠٦ .

(٢) فارسي معرب، والمهاليج: نوع من الدروب.

(٣) كتاب آداب الحسن البصرى لابن الجوزى: ص ١٢١.

(٤) ص ٤٥.



منازل السعادة طاعة السلطان، وأن طاعة السلطان عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة، وأن طاعة السلطان عصمة لمن لجأ إليها وحرز لمن دخل فيها، وبطاعة السلاطين تقام الحدود وتؤدي الفرائض وتحقن الدماء وتأمين السبل، وما أحسن ما قالت العلماء: أن طاعة السلطان هدي لمن استضاء بنورها، وموئل لمن حافظ عليها. وأن الخارج من طاعة السلطان منقطع العصمة من الذمة وأن طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم، وجنته الواقية، وأن الخروج منها خروج من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ومن أسر غش السلطان ذل وزل، ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا في أرفع محل. وقد روينا في الأحاديث الصحاح أمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة لولي الأمر ومناصحته و محبته والدعاء له ما لو ذكرناه لكان بما حله الناظر وسأمه الخاطر، كما تقدم فاقصرنا على ما أوردناه واكتفينا بما بيناه". اهـ.

وكل ما ذكره رحمه الله تعالى - حق ما دام السلطان لم يأمر بمعصية الله تعالى، فإن أمر بمعصية الله تعالى فقد حرمت طاعته في المعصية وفي ذلك مصالح الدين والدنيا لأن ذلك تقديم لطاعة الملك الديان وعصيان لأولياء الشيطان أن كيد الشيطان كان ضعيفاً، والإجماع الذي انعقد عند أهل السنة والجماعة على وجوب السمع والطاعة لهم مبني على النصوص الشرعية الواضحة التي تواترت بذلك^(١).

إذا تقرر ذلك فما هي الطريقة الصحيحة للإنكار على الحاكم أو

المسؤول؟

(١) ملخص من كتاب معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة للدكتور عبدالسلام عبدالكريم الفصل الرابع..



هنا يجب التفريق بين مسألتين :

أولاً: التفريق بين إنكار المنكر وبين الخروج على الحاكم، إذ ليس كل من أنكر منكرًا على حاكم ذي سلطة خارجاً عليه بمجرد الإنكار، لأن الأمة ما زالت تنكر على حكامها وولاة أمورها، بحسب الإمكان، وما يقتضيه الحال، ويشهد لهذا تبويب الإمام مسلم في صحيحه بما يؤكد على التفريق بين الإنكار الواجب و الخروج المحرم بقوله: **بَابُ وُجُوبِ الْإِنْكَارِ عَلَى الْأَمْرَاءِ فِيمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ، وَتَرْكِ قِتَالِهِمْ.** اهـ^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»^(٢). وفي رواية: «كلمة حق عند ذي سلطان جائر»^(٣). وقال صلى الله عليه وسلم: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، و رجلٌ قام إلى إمام جائر فأمره و نهاه فقتله»^(٤).

(١) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٨٠.

(٢) رواه الترمذي في أبواب الفتن، باب ماجاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ج ٤ ص ٤٧١ حديث رقم ٢١٧٤ و ابن ماجة في سننه، أبواب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ج ٥ ص ١٤٤ حديث رقم ٤٠١١ والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج ١ ص ٨٨٦.

(٣) رواه النسائي في كتاب البيعة، فضل من تكلم بالحق عند سلطان جائر ج ٧ ص ١٦١ حديث رقم ٤٢٠٩ و صححه الألباني.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، أفضل الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ج ٤ ص ١٩٥ برقم ١٩٣٠ عن جابر بإسناد صححه، وأقره الذهبي، قال الزيلعي في نصب الراية: وقال -يقصد الحاكم-: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي في " مختصره " فقال: حميد الصفار لا يدري من هو انتهى. نصب الراية ج ٥ ص ٣٦٩.



ثانياً: الأصل سرية الإنكار، كما أن النظر إليه يكون من خلال المصالح المترتبة على القيام به، و المفسد المترتبة على تركه، و هذا يختلف بحسب الأمور المنكرة، و حال المنكر، و المنكر عليه، و أسلوب الإنكار، لأنه جاء عن أئمة السلف أنهم ينكرون المنكر على الحاكم علانية تارةً، و سريةً تارةً و الذي يقدرها العالم نفسه و ليس أي شخص.. و إلا فالأصل سرية الإنكار حتى لا يشوش على دهاء الناس و تنتشر الفتن، جاء عن أسامة بن زيد، قال: قيل له: ألا تدخل على هذا الرجل فتكلمه، يعنون عثمان، فيقول: أترون أنني لا أكلمه إلا أسمعكم، و الله لقد كلمته فيما بيني و بينه ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من يفتحه، و لا أقول لأحد يكون عليّ أميراً إنه خير الناس بعدما سمعت رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أفتاب بطنه، فيدور كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: ما لك؟ ألم تك تأمر بالمعروف، و تنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت أمر بالمعروف و لا آتبه، و أنهى عن المنكر و آتبه»^(١).

قال القاضي عياض رحمه الله: «مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به، و ينصحه سراً فذلك أجدر بالقبول»^(٢).

وعن سعيد بن جهمان قال: "أتيت عبد الله بن أبي أوفى، و هو محجوب بالبصرة، فسلمت عليه. قال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف و لا يفعله و ينهى عن المنكر و يفعله ج ٤ ص ٢٢٩٠ برقم ٢٩٨٩
(٢) فتح الباري ج ١ ص ٥٧



جهمان. قال: فما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلته الأزارقة. قال: لعن الله الأزارقة لعن الله الأزارقة، حدثنا رسول الله أنهم كلاب النار. قال: قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بل الخوارج كلها. قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس و يفعل بهم. قال فتناول يدي، فغمزها بيده غمزةً شديدة، ثم قال: ويحك يا ابن جهمان، عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم، إن كان السلطان يسمع منك فأته في بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك، وإلا فدعه؛ فإنك لست بأعلم منه" (١).

وقد يكون المنكر عاماً، ولايستطاع الوصول إلى الحاكم، ويرى العالم بأحوال الناس ضرورة الإنكار علانية فحينئذ ينكر على الحاكم علانية بما يظهر عنده عدم وقوع مفسدة أكبر من فتنة واختلاط الأمور. ولذا فإن الذي يحكم بذلك السياسة الشرعية والمصالح المرسله التي يحددها العالم نفسه. ودل على ذلك قصة أبي سعيد الخدري في إنكاره على مروان بن الحكم حينما قدم الخطبة في العيد على الصلاة (٢).

ب- توطيد علاقة أفراد الأمة بعلمائها الربانيين:

إذا فقدت الثقة في علماء المسلمين فمن يقود الأمة الإسلامية؟ ومن يُرجعُ إليه في الفتاوى والأحكام؟

إنّ العلماء الملتزمين بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ؛ لهم مكانة كبيرة في الإسلام، حددها الله ورسوله، ومن الآيات الآثار التي وردت

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٨٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٣٠ في كتاب الخلافة، باب النصيحة للأئمة: ورجال أحمد ثقات.
(٢) تنمة الحديث والقصة في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ج ١ ص ٦٩ برقم ٤٩



نحو استقامة فكرية وحياتية



في بيان فضلهم ومكانتهم: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَالِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)، وقرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام (٢).

والعلماء هم من انطبقت عليهم الخيرية التي حددها النبي ﷺ في قوله من حديث معاوية رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدُ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ» (٣)، ويؤخذ من ظاهر الحديث أن من لم يرد الله به خيراً لا يفقه في الدين بمفهوم المخالفة، وفيه فضل العلماء على سائر الناس، وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما ثبت فضله لأنه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته، وتجنب معاصيه.

ومن فضائل العلماء: أنهم أهل خشيته الحقيقيون كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٤)، والمعنى: إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته؛ العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه.

والعلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب العجيب، ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية، ثم يخشونه حقاً، ويتقونه حقاً، ويعبدونه حقاً (٥)، فهم أخشى الناس لله، وأعبد الناس له.

(١) سورة ال عمران ١٨

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٤

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ج ١ ص ٢٥ حديث رقم ٧١

(٤) سورة فاطر ٢٨

(٥) تفسير الطبري ج ٢٠ ص ٤٦٢



عوامل تعزيز الأمن الفكري

١٠١

والعلماء لا يستوون هم وبقية الناس قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١).

والعلماء هم صمام أمان للأمة، فإذا غاب العلماء عن الأمة ضلت في دينها فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢).

وهذا لا يعني أن العلماء معصومون وأنهم لا يخطئون. العصمة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والعلماء يخطئون، ولو حصل من عالم زلة أو خطأ، فإن العلاج لا يكون بالثلب المتواصل، وإبطال السوابق والفضل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣). العلماء ورثة الأنبياء.. ماذا لو فقدوا !!

ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعاً وتسعين نفساً، فجاء يطلب من يفتيه هل له توبة؟ وجواب هذا السؤال لا يقدر عليه إلا عالم، لكنهم دلّوه على عابد مجتهد في العبادة والورع والزهد لكنه جاهل فتعاضم الأمر، وقال: ليس لك توبة، فقتله الرجل فكمّل به المائة، ثم سأل عن عالم فدلّوه عليه فسأله، إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟! !

(١) سورة الزمر ٩

(٢) رواه البخاري كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ج ١ ص ٣١ حديث رقم ١٠٠

(٣) سورة النور: ١٩



قال له: نعم ومن يحول بينك وبين التوبة؟!!

ولكن أرضك أرض سوء فاذهب إلى أرض كذا وكذا، فإن فيها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك.

تاب الرجل وخرج مهاجراً إلى الأرض الطيبة وحضرته الوفاة وهو في الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأنزل الله إليهم ملكاً في صورة آدمي ليحكم بينهم فقال: قيسوا ما بين البلدين فوجدوه إلى البلدة الطيبة أقرب بشبر فقبضته ملائكة الرحمة^(١).

هذا كان بسبب توفيق الله للعالم الذي أفتاه..

وكذلك قوم نوح لما صورت الصور، ونصبت على المجالس، وكان العلماء موجودين لم تعبد هذه الصور؛ لأن العلماء ينهون عن عبادة غير الله، فلما مات العلماء وفُقد العلمُ جاء الشيطان وتسلط على الجهال، وقال: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا لیسقوا بها المطر وليعبدوها، فعبدوها وحينئذٍ وقع الشرك في الأرض^(٢)، وذلك كله بسبب فقد العلم وموت العلماء.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله لا يقبض هذا العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا^(٣).

(١) أصل الحديث في البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار ج ٤ ص ١٧٤ رقم ٣٤٧٠

(٢) أصل الحديث في البخاري كتاب تفسير القرآن، باب ودأ ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق. ج ٦ ص ١٦٠ رقم ٤٩٢٠

(٣) سبق تخريجه.



عوامل تعزيز الأمن الفكري

١٠٣

أرأيتم إن فقدت هذه الأمة علماءها ماذا تكون الحال !! ؟
والعلماء المجددون لا يخلو منهم زمان.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من
يجدد لها دينها»^(١).

والعالم هو من يحكم له العلماء بالعلم لا من يصدره جهلة أو
منحرفون فكرياً لذا قال الإمام الشاطبي رحمته الله: والعالم إذا لم يشهد له
العلماء فهو في الحكم باقٍ على الأصل من عدم العلم، حتى يشهد فيه
غيره، ويعلم هو من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم
العلم، أو على شك، فاختيار الإقدام في هاتين الحالتين على الإحجام لا
يكون إلا باتباع الهوى، إذ كان ينبغي له أن يستفتي في نفسه غيره ولم
يفعل، وكل من حقه أن لا يقدم إلا أن يقدمه غيره ولم يفعل^(٢).

ج- تأصيل الفتوى:

معنى الإفتاء ومكانته وصفة المفتي:

إن أعظم مقام يقومه العلماء في الناس هو التوقيع عن رب العالمين
بالحلال والحرام، وقد ارتضى الله سبحانه وتعالى هذا المقام الرفيع
لنفسه، فقال: ﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾^(٣)، وقال:

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة ج٦ ص٣٤٩ برقم
٤٢٩١ وصححه إسناده المحقق الأرناؤوط. والكلام السابق مختصر من محاضرة

للعلامة الشيخ صالح الفوزان، منشورة عبر الشبكة.

(٢) كتاب الاعتصام للشاطبي، مكتبة التوحيد ج٣ ص٢٤٢.

(٣) النساء: من الآية ١٢٧



﴿سَتَفُتُونَكَ قُلِّ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَّةِ﴾^(١).

ثم تولاه رسل الله وأنبيأؤه يبلغون عن رب العالمين شرعه وأحكامه ومراده، فقاموا بذلك أحسن قيام ثم ورثوا هذا العلم لمن بعدهم من العلماء الربانيين، فقاموا في الناس مقام الأنبياء بالتبليغ عن رب العالمين، فكان لزاماً على من تولى هذا المقام أن يكون في المكان الرفيع من العلم والصدق والديانة.

يقول الإمام ابن القيم رحمته الله: "لما كان التبليغ عن الله يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق، فيكون عالماً بما يبلغ صادقاً فيه ويكون مع ذلك حسن الطريقة مرضي السيرة عدلاً في أقواله وأفعاله متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا يُنكر فضله ولا يُجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات". اهـ^(٢).

ومن شروط المفتي أن يكون عالماً بأدلة الأحكام وأنواعها، واختلاف مراتبها في دلالتها وكيفية استنباط الأحكام منها وطرق الترجيح فيها^(٣).

وقال ابن حمدان الحنبلي رحمته الله: "ومن صفته وشروطه أن يكون مسلماً، عدلاً مكلفاً فقيهاً مجتهداً يقظاً، صحيح الذهن والفكر والتصرف في الفقه وما يتعلق به"^(٤).

(١) النساء: من الآية ١٧٦

(٢) أعلام الموقعين لابن القيم، دار الكتب العلمية. ج ١ ص ٨

(٣) الإحكام للآمدي ٢٢٢/٤

(٤) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ص ١٣



جرم من أفتى وهو من غير أهل للفتوى:

لقد أنكر الله على من يحللون ويحرمون بأهوائهم، فقال تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١)، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^(٢) مَتَّعَ قَلِيلٌ لَهُمْ وَعَذَابُ أَلِيمٌ^(٣).

بل هذا فيه جناية وسوء أدب مع الله عز وجل، كيف يعلم مسلم أن الحكم لله ثم يتقدم بين يديه فيقول في دينه وشريعته ما لا يعلم؟!.. أما علم هذا المسكين.. أن الله قد قرن القول عليه بلا علم بالشرك به، فقال جل ذكره: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾^(٤).

هذا الذي يفتي بغير علم سيسأله الله عما قال يوم القيامة.. أفلا يعلم أنه إذا أضل شخصاً فأحل له ما حرم الله أو حرم له ما أحل الله فقد باء بإثمته، وكان عليه مثل وزر ما عمله من إثم بسبب فتواه..

إنَّ بعض المتعالمين والمنحرفين لديهم من الجرأة على الشريعة بالتحليل والتحرير والإيجاب وعدم الورع في مسائل لو عرضت على عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر!!.. عيب عنده أن ينطق بلا أدري أو لا أعلم.. وقد نقل عن مالك رضي الله عنه أنه سئل وهو من أئمة الدنيا في وقته عن أربعين مسألة فأجاب عن ست وثلاثين منها بلا أدري! فلم يضره ذلك بل ارتفع قدره دنيا وأخرى..

(١) يونس: ٥٩-٦٠

(٢) النحل: ١١٦-١١٧

(٣) الأعراف: ٣٣



بل قال البراء رضي الله عنه: "لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ما منهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوى" (١).

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الخلق بشريعة الله يسأل عما لم ينزل عليه فيه الوحي، فينتظر حتى ينزل عليه الوحي فيجيب، يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ (٢)، ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْفَرْسَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٣)، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْفِهَا إِلَّا هُوَ﴾ (٤)، ولقد كان الأجلاء من الصحابة تعرض لهم المسألة لا يدرون حكم الله فيها فيهاونها ويتوقفون فيها . .

فها هو أبو بكر رضي الله عنه يقول: "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا أنا قلت في كتاب الله بغير علم" (٥) . .

وها هو عمر رضي الله تعالى عنه تنزل به الحادثة، فيجمع لها الصحابة ويستشيرهم فيها، قال ابن سيرين رضي الله عنه «لم يكن أحد أهيب مما لا يعلم من أبي بكر ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب مما لا يعلم من عمر» (٦). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "يا أيها الناس من سئل عن علم يعلمه فليقل

(١) ذكره الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ج ٢ ص ٣٤٩

(٢) المائدة: ٤

(٣) الكهف: ٨٣

(٤) الأعراف: ١٨٧

(٥) أخرج أوله ابن ماجه رحمه الله تعالى في سننه في كتاب الزكاة، باب ما يأخذ المصدق من الإبل، ج ٣ ص ٢١ رقم ١٨٠٢. والحديث بكامله صححه إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة وعزاه للبخاري ج ٦ ص ٢٨

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣٠ ص ٣٢٧ دار الفكر.



عوامل تعزيز الأمن الفكري

١٠٧

به ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم" (١)، وسئل الشعبي عن مسألة فقال لا أحسنها فقال له أصحابه قد استحينا لك فقال لكن الملائكة لم تستحي حين قالت ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (٢). وجاء رجل إلى مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة فقال يا أبا عبد الله جئتك من مسافة بعيدة في مسألة حملني إياها أهل بلدي لأسألك فقال له مالك فسل فسأله فقال لا أحسنها فبهت الرجل فقال ماذا أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم قال تقول لهم قال مالك لا أحسن. وقال أبو داود في مسأله: ما أحصي ما سمعت أحمد بن حنبل سئل عن كثير ما فيه الاختلاف في العلم فيقول: لا أدري، وقال عبد الله بن أحمد: كنت أسمع أي كثيراً يسأل من المسائل فيقول: لا أدري، وكثيراً ما كان يقول للسائل: سل عن ذلك غيري (٣).

سبحان الله.. الجرأة على الفتوى جرأت كثيراً من المنحرفين على الدماء والأعراض، وهل هلك الناس إلا بأنصاف العلماء!!؟

عندما يختلف المفتون في مسألة من نتبع!!؟

المستفتي هنا يلزمه أن يجتهد في معرفة الأعلام والأدين لأنه المستطاع من تقوى الله تعالى المأمور بها كل أحد (٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله تعالى وما أنا من المتكلمين ج ٦ ص ١٢٤ برقم ٤٨٠٩.

(٢) البقرة: ٣٢

(٣) كل هذه الآثار ذكرها ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين ج ٢ ص ١٢٦ فما بعدها (دار الكتب العلمية).

(٤) إعلام الموقعين ج ١ ص ٣٤٢



نحو استقامة فكرية وحياتية



ويعرف الأدين والأورع بالاجتهاد في ذلك، وسؤال أهل العلم والفضل.

ويخطئ بعضهم فيظن أنّ على العامي النظر في دليل كل منهما، والحق ليس كذلك لأن العامي لا يمكنه النظر في الأدلة..

د- تأصيل ضوابط الحرية.

بالنظر إلى المفهوم الدقيق للحرية لا يمكن فرض حرية مطلقة دونما قيود إلا في الذهن، أما في الواقع فإن الإنسان مدني بطبعه، لا يعيش وحده، وإنما يعيش في مجتمع متماسك يؤذيه ما يؤذي بعضه، وهذا الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: (الإنسان مدني بالطبع) أي: لا بد له من الاجتماع الذي هو المدني في اصطلاحهم^(١).

وإذا كانت حاجات الإنسان الأساسية مرتبطة بالآخرين، فلا يتصور في الدنيا حرية مطلقة غير مقيدة بنظام، ولا تكون حرية الفرد إلا إذا سلمت حريات الآخرين، ولذا قد تكون الحرية بالمنع أحياناً، أما ما يتصوره البعض من أنه يمكن فرض حرية مطلقة وينظر إليها على أنها من حقوقه فهذه علاوة على أنه لا يمكن تصورها لأنها الفوضى المطلقة، فهي عبودية ذميمة من وجه آخر، إما لشخص أو لقيمة من قيم الحياة المادية، لأن الانطلاق وراء كل شهوة والانفلات من كل قيد يكون استعباداً للشهوة والهوى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون ج ١ ص ٤٥، والحرية الدينية لد سليمان أباخيل ص ٨



عوامل تعزيز الأمن الفكري

١٠٩

استعبد بدنه واسترق لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً بل يمكنه الاحتيال في الخلاص، وأما إذا كان القلب الذي هو الملك رقيقاً مستعبداً متهما لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية لما استعبد القلب... فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب كما أن الغنى غنى النفس^(١).

وقد بدأ استعمال هذا المصطلح في البلدان التي عاشت تحت الحكم الاستعماري، وارتبط مفهوم الحرية بالاستقلال وحق تقرير المصير، وفي العالم الغربي ارتبط هذا المفهوم بالديمقراطية، ولذا فإن الإشارة إلى أنواع الحريات التي يدخل في تصنيفها الحرية الدينية، هو تصنيف غربي يجري تطبيقه في الدول الرأسمالية الغربية، وتعني الحرية الدينية في مفاهيمهم: حرية الاعتقاد، وممارسة الشعائر الدينية التي يختارها الفرد لنفسه.

والشريعة الإسلامية كفلت حق الاجتهاد والتعبير عن الرأي بما ليس له مثيل في القوانين والشرائع الأخرى، بل وحثت على إعمال الفكر والنظر. ولقد حاولت حصر الآيات التي تدل على ذلك فوجدتها تربو على مائة وستين آية من القرآن الكريم.

هذا سوى ما جاءت السنة به، ومن أبرزها قوله ﷺ: قال: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ»^(٢).

وقد سئل شيخ الإسلام ﷺ عن يقلد بعض العلماء في مسائل الاجتهاد: فهل ينكر عليه أم يهجر؟ وكذلك من يعمل بأحد القولين؟

(١) الفتاوى ج ١٠ ص ٧٦

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ج ٩ ص ١٠٨ برقم ٧٣٥٢



نحو استقامة فكرية وحياتية



فأجاب: " الحمد لله مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه، وإذا كان في المسألة قولان: فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين" (١).

هذا في المسائل الشرعية فكيف بغيرها!؟

إلا أن هذا ليس على إطلاقه فهناك مسائل لا يسوغ فيها الاجتهاد وهي واضحة ومحددة، والخوض فيها ضرب من الاعتداء على الشريعة. وأيضاً فإن الاجتهاد في الشريعة لا يتأتى ممن لا يملك أدواته، ولا اجتهاد مع النص.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الحرية في التعبير و الرأي ليست مطلقة لا في الشريعة الإسلامية ولا في غيرها.

وإنما هي حرية مقيدة، تراعي حريات الآخرين المحددة في نطاق الشريعة أو الأنظمة المرعية، أو حتى في أعراف المجتمعات.

ومنطلقات هذه القيود الشرعية والقانونية واحدة، وهي الحفاظ على مقتضيات النظام العام والآداب، مراعاة المصلحة العامة العليا، وتحقيق مبدأ العدل في ممارسة الحرية ذاتها للناس جميعاً، أو للشعب في داخل الدولة.

والضوابط العامة لممارسة الحرية الفكرية والدينية وغيرها نوعان:

الأول: ضوابط مطلقة:

وهي حماية أصول الحياة الاجتماعية، أو ما يُسمى بقواعد النظام

(١) الفتاوى ج ٢٠ ص ٢٠٧



عوامل تعزيز الأمن الفكري



العام، ومرتكزات أخلاق المجتمع، وهي المساواة بالآداب العامة، لأن كل إنسان يعيش في مجتمع، واستمرار بقاء المجتمع وتقديمه يتطلب الدقة في منح الحرية، والموازنة بين المستفيدين منها، وتقدير مقتضيات المصلحة العامة، وأوضاع المستقبل، وحماية المجتمع ذاته من الانهيار والذوبان.

الثاني: ضوابط نسبية:

وهي المطبقة في بعض الظروف الزمانية أو المكانية، أو على بعض الأشخاص، فقد توضع ضوابط لظروف استثنائية كحالة الحصار، وحالة الطوارئ، كما تفرض قيود على حريات بعض الأفراد للمصلحة العامة كالأجانب، والموظفين العموميين، ورجال القوات المسلحة.

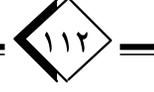
إن هذه الضوابط بنوعها يقرها العقل، وتمليها المصلحة، وتقتضيها طبيعة المقدسات، فإن التهكم بالدين أو سب الله تعالى أو إعلان الشك فيه، وشتم الرسل والأنبياء، أو الاستخفاف بالقرآن الكريم مثلاً، أو الزندقة (وهي إبطان الكفر والدعوة السرية أو العلنية إلى معاداة الدين والتحريض عليه ونحو ذلك)، يعد خطراً على عقيدة الأمة، وزعزعة بنيانها، والمساس بكيانها، وترويج الفتنة والفوضى والضلال والفساد في أوساطها، وهذا نذير شر وسوء، وتدمير وتخريب^(١).

وأما من يدعي أنّ الشريعة تقيد الحريات مطلقاً، وغيرها من النظم الأخرى لا يقيدها، فهذا ليس صحيحاً، بل إنّ مفهوم الحرية في القوانين الوضعية دائماً ما يكون مقيّداً على معايير ليست دقيقة وربما تكون سلبية

(١) يراجع: حقوق الإنسان لد الزان ج٧ ص٢٥١، وضوابط التعبير في الإسلام لد نور الدين بوركيد (بحث منشور على الشبكة)



نحو استقامة فكرية وحياتية



أيضاً، ولذا نجد مفهوم الحرية كما حددتها المادة الرابعة من إعلان حقوق الإنسان الفرنسي الصادر سنة ١٧٨٩م، هي قدرة الإنسان على إتيان كل عمل لا يضر الآخرين.

فإذا كانت الحرية عند القانونيين ليست مطلقة بلا حدود ولا قيود وإنما هي مقيدة بعدم إضرار الآخرين، فإنّ المفهوم الإسلامي يزيد عن ذلك بجعل الحرية فيما ينفع الإنسان ذاته باعتدال، وينفع غيره من الأمة فيما يعود عليها بالخير والمصلحة، ويرشدها إلى اختيار الطريق الأقوم أو الأرشد في مستقبل الأيام، فالقيد المتفق عليه سلبي، والقيد الذي يضيفه الإسلام إيجابي.

ولذا فإنّ الواقع الحياتي لا بد أن يوجد فيه قيود واستثناءات بقصد تنظيم الحرية نفسها، وهذا التنظيم قد يتخذ صبغة وقائية، كاستئذان الدولة في استعمال الحرية، وقد يأخذ صورة علاجية أو جزائية، بفرض عقوبات وجزاءات مدنية أو جنائية على الإسراف في ممارسة الحريات الشخصية، أو الفردية إسرافاً يترتب عليه إضرار بالآخرين أو الإضرار بالنفس والعقل والدين والعرض والمال.

هـ- تأصيل مفهوم الجهاد الحق:

الجهاد ذروة سنام الإسلام، و عدّه بعض العلماء الركن السادس من أركان الإسلام و " من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة مكن شعب النفاق" ^(١).

(١) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ذم من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزو. ج ٣ ص ١٥١٧ رقم ١٩١٠



وإذا أطلق الجهاد فإنه في الغالب ينصرف إلى جهاد الكفار وقتالهم، من المعاندين، والمحاربين، والمرتدين، والبغاة، ونحوهم، ومقصوده إعلاء كلمة الله - عز وجل -، وهذا هو المعنى الخاص للجهاد.

أما المعنى العام فكما عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: هُوَ بَدَلُ الْوُسْعِ وَهُوَ الْقُدْرَةُ فِي حُصُولِ مَحْبُوبِ الْحَقِّ (١).

يقول ابن القيم رحمته الله: وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ جِنْسَ الْجِهَادِ فَرَضٌ عَيْنٍ إِمَّا بِالْقَلْبِ، وَإِمَّا بِاللِّسَانِ، وَإِمَّا بِالْمَالِ، وَإِمَّا بِالْيَدِ، فَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُجَاهِدَ بِنَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ (٢).

فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع، بالقلب، باللسان، بالمال، باليد، وبالقلم أيضاً.

قال العلماء: إن الجهاد له أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار والمنافقين، وأصحاب الظلم والبدع والمنكرات.

وما يهم بحثه هنا هو: جهاد الكفار والمنافقين:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ﴾ (٣)، وقد لا يكون جهاد المنافقين بالقتال بقدر ما يكون باللسان أو بالقلب أو بالمال أو باليد.

(١) مجموع الفتاوى ج ١٠ ص ١٩٢

(٢) زاد المعاد ج ٣ ص ٦٤

(٣) سورة التوبة: الآية ٧٣



مفهوم جهاد الطلب:

في حال قوة المسلمين واتحاد صفوفهم يشرع هذا النوع من الجهاد لنشر الإسلام، وتذليل العقبات التي تعترض الدعاة في سبيل الدعوة إلى الحق، والأخذ على يد من تحدثه نفسه بأذى الدعاة إليه والاعتداء عليهم حتى لا تكون فتنة، ويسود الأمن ويعم السلام وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، ويدخل الناس في دين الله أفواجا^(١). بمعنى أن هذا الجهاد ليس لإجبار الناس على الدخول في الدين، فالله عز وجل يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢)، وإنما من أجل أن يصلهم وتصلهم الدعوة إليه ولا يمنع، ومن أراد البقاء على دينه من الكفار الذين فتحت ديارهم فيبقى تحت أحكام معينة في الشريعة، وهي دفع الجزية مقابل الحماية^(٣)، قال الله سبحانه في جهاد الطلب، كما يسميه العلماء: : ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾^(٥)، ومرة قال: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾^(٦)، وقال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ج ٣ ص ٣٣٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٦

(٣) اعلم أن هذه الجزية لاتساوي شيئاً بالنسبة للمكوس والضرائب التي تأخذها الدول على رعاياها، والمقيمين عليها وهذا ما شهد به نصارى الأندلس عندما احتلهم الأسبان كما هو مدون في كتب التاريخ.

(٤) سورة التوبة: الآية ٤١

(٥) سورة الأنفال: الآية ٣٩

(٦) سورة البقرة: الآية ١٩٣



الْفَاعِلِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنَ ﴿١﴾. وغير ذلك من الأدلة (٢).

مفهوم جهاد الدفع:

جهاد الدفع هو حين يقتحم الكفار ديار المسلمين، أو شيء من ديار المسلمين، فتكون حينئذ المدافعة والمقاومة، وتكون فرض عين متدرجة على من كانوا ملتصقين بالكفار، ثم من يليهم، وهكذا، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ (٣).

متى يجب الجهاد ومتى لا يجب:

الجهاد يكون فرض عين إذا حضر المسلم المكلف القتال، والتقى الزحفان، وتقابل الصفان، وإذا حضر العدو بلدًا من بلدان المسلمين تَعَيَّنَ على أهل البلد قتاله وطرده، وهو جهاد الدفع، واستنفرَ إمام المسلمين الناس وطلب منهم ذلك، لأنه سبحانه قال: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا﴾ (٤)؛ يعني إذا استنفركم الإمام، وكما قال النبي ﷺ: «وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَأَنْفِرُوا» (٥).

و ذكر العلماء - رحمهم الله - شروطا ينبغي أن تتوفر فيمن يجاهد في سبيل الله منها: الإسلام، و البلوغ، والعقل، والحرية، والذكورية، فالمرأة الأصل أنه لا جهاد عليها، لكنها قد تحضر المعارك لحاجة، إما لمداواة الجرحى أو ما إلى ذلك كما هو معروف في الإسلام، وقد

(١) سورة النساء: الآية ٩٥

(٢) للمزيد راجع مثلاً: الشرح الكبير لابن قدامة ج ٨ ص ١٠، والشرح الممتع = لابن عثيمين ج ٨ ص ١٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٠

(٤) سورة التوبة: الآية ٤١

(٥) أخرجه البخاري في أبواب المحصر، باب لا يحل القتال بمكة ج ٣ ص ١٤ برقم ١٨٣٤.



تُقَاتِلْ، وقد تُدَافِعْ، وهذا حسب الضرورة، لكن الأصل في الوجود أنه على الذكور، وكذلك السلامة من العاهات المانعة من القتال، بمعنى أن يكون قادراً ليس أعمى ولا أعرج، ولا مريضاً، لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾^(١)، والشرط السابع الاستطاعة والطاقة^(٢).

والاستطاعة.. هي مناط بحث وتحرير.. فإذا لم يتمكن المسلمون من الجهاد، فإن هناك أحكاماً أخرى يجب أن يلتزموا بها من الصبر وترك القتال، لأنهم غير قادرين فيُكْتَفَى بجهاد الدفع ورد العدوان بقدر الإمكان، بل أحياناً قد يُصَالِحُ إمام المسلمين وإن كان في ذلك ضعف، سواء بمقابل، أو بغير مقابل. ولذلك فإن النبي ﷺ قاتل قريشاً تارة وصالحهم تارة أخرى، كما في صلح الحديبية المشهور. ففي صلح الحديبية من الفقه والحكم والعجائب ما يجعل الأمة على بصيرة من دينها، وبصيرة من أمرها، فإن النبي ﷺ رأى رؤيا أنه سوف يعتمر، وأخبر أصحابه ﷺ، وأمر أصحابه ﷺ أن يتوجهوا إلى البيت من المدينة فتوجهوا حوالي ألف وخمسمائة مع النبي ﷺ إلى أن وصلوا الحديبية، فعلمت قريش، فأرسلوا سهيل بن عمرو ليصالحوا النبي ﷺ على ألا يدخل هذا العام ويدخل العام القادم، فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا

(١) سورة النور: الآية ٦١

(٢) المراجع السابقة.



عوامل تعزيز الأمن الفكري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اَكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اَكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اَكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَتَطُوفَ بِهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو يَرْسُفُ فِي فُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «بَلَى فَاَفْعَلْ»، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مَكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاكَ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرِدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عُدَّ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَاتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ، قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّيْنََةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»، قُلْتُ: أَوْلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ»، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ»، قَالَ: فَاتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ:



يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيِّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِعَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ^(١).

ومع هذا قد سمى الله - عز وجل - صلح الحديبية فتحاً: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾، ولا شك أن الشروط التي وافق عليها النبي ﷺ كانت بأمر من الله وبوحي من الله، قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٣)؛ هو صلح الحديبية، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٤).

حينما وقع النبي ﷺ الصلح ورجع في هذه السنة أو بعد سنة ونصف، أصبح الذين أسلموا في تلك السنة أكثر من الذين أسلموا طوال سبع عشرة سنة، لأنه صارت هدنة، وأصبح المسلمون يتحدثون بحرية، ويعبدون الله بحرية، بدليل لما جاء فتح مكة بعدها بسنة أو سنة ونصف كان الذين مع النبي ﷺ في فتح مكة عشرة آلاف، وكانوا في صلح الحديبية ألفاً وخمسمائة فقط، فالمقصود أن القتال والحرب يكون مع الاستطاعة.

وفي صلح الحديبية من الأحكام: جواز تقديم مصلحة المهادنة في

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ج ٣ ص ١٩٣، رقم ٢٧٣١

(٢) سورة الفتح: الآيتان ١، ٢

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٧

(٤) سورة الفتح: الآية ١٨



السلم والصلح على القتال، إذا كان فيها مصلحة.

والقتال والدعوة إليه مسؤولية الإمام، لا يجوز لأحد من المسلمين أن يدعو إلى الجهاد وقاتل الكفار إلا بإذن ولي الأمر، الذي جعله الله وقاية وسِتْرًا بين المسلمين وبين عدوهم، للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتِلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ»^(١). يعلق الإمام النووي على هذا الحديث فيقول: "الإمام جُنَّةٌ: أي: كَالسِّتْرِ، لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْعَدُوَّ مِنْ أَدَى الْمُسْلِمِينَ، وَيَمْنَعُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَحْمِي بِيضَةَ الْإِسْلَامِ، وَيَتَّقِيهِ النَّاسُ، وَيَخَافُونَ سَطْوَتَهُ، وَمَعْنَى يُقَاتِلُ مِنْ وَرَائِهِ: أي: يُقَاتِلُ مَعَهُ الْكُفَّارَ، وَالْبُعَاةَ، وَالْخَوَارِجَ، وَسَائِرُ أَهْلِ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ مُطْلَقًا"^(٢). اهـ.

و يقول ابن قدامة رحمته الله: "وَأَمْرُ الْجِهَادِ مَوْكُؤٌ إِلَى الْإِمَامِ وَاجْتِهَادِهِ، وَيَلْزَمُ الرَّعِيَّةَ طَاعَتُهُ فِيمَا يَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ"^(٣). اهـ.

ومن خلال ما سبق لا يتصور الجهاد من غير راية ولا حين يقرر ولاية أمر الأمة وعلمائها وفقهاؤها الصبر لعدم القدرة أو الفرضية لأهل البلد المقاتلين فقط حتى لا تختلط الأمور. وأن مخالفة ذلك قد يجعل من المخالف خارجاً عن جماعة المسلمين فيكون ضرره لهم أكبر من نفعه..

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به ج ٤ ص ٥٠ برقم ٢٩٥٧، ومسلم في كتاب الأمانة، باب في الإمام إذا أمر بتقوى الله وعدل كان له أجر ج ٣ ص ١٤٧١ برقم ١٨٤١

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٢٣٠

(٣) المغني ج ٩ ص ٢٠٢



نحو استقامة فكرية وحياتية



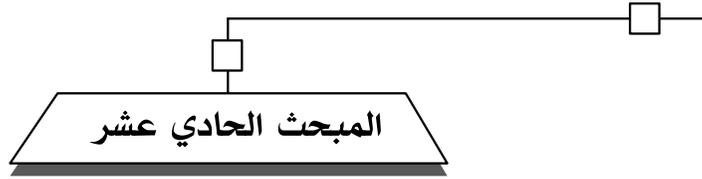
ولا ينبغي أن يُركن للدعة والراحة بحجة المصالحة مع العدو وما شابه ذلك.. فإن الله تعالى أمر حال الصلح بالإعداد للقوة كما قال الله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (١).

وبالجملة فإن تقرير مثل هذه المسائل الكبار التي تتعلق بالأمة لا يقررها إلا ولاتها وحكماؤها وعلماؤها وأهل الحل والعقد فيها.. وليست مناطاً لاجتهادات بعض الشباب التي تجر إلى ما لا يحمد عقباه.



(١) الأنفال: ٦٠





وسائل الثبات وعدم الاضطراب الحياتي والفكري

من المعلوم أنّ الله تعالى لم يخلقنا في هذه الدنيا هملاً، إذ كلُّ منا يجب أن يؤدي رسالته، ويكون له مشروع في الحياة.. وأولئك المضطربون فكرياً أو حياتياً لم يتأملوا هذه الصورة جيداً، ولم يعدوا لها الإعداد الكافي في حياتهم، هذا إن كانت خطرت في بالهم أصلاً.. فهم في حقيقة الأمر استخدموا لأهداف غيرهم..

والطامح للنجاح، والساعي لرضا الله تعالى، والذي يسأل الله الثبات على المنهج الحق ويدعو إليه يختلف عنهم جذرياً، لذلك سأضع بين يدي القارئ بعض الوسائل التي تعين على النجاح وعدم الاضطراب الفكري والحياتي، والتي تحقق له توفيقاً في دنياه وأخراه بإذن الله تعالى، ثم أذكر وسائل الثبات على دين الله تعالى:

أولاً: التفاؤل والتوكل:

الفأل هو كما عبّر عنه النبي ﷺ لما سئل ما الفأل؟ قال: «الكلمة



نحو استقامة فكرية وحياتية

١٢٢

الصالحة يسمعتها أحدكم»^(١). كن متفائلاً دائماً ففي حديث أنس رضي الله عنه.. «ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة»^(٢). إذاً هو انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح أو الحسن أو الطيب^(٣). وهو ضد الطيرة التي هي التشاؤم.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تمنح الإنسان القوة والتفاؤل... وتحقيق النجاح المطلوب، خاصة إذا أضفت عليها التوكل على الله.. ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٤)، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

بل حتى مع ظلام الدنيا بالمصائب نجد الانقلاب في حال التفاؤل والتوكل على الله إلى صباح ونور عظيم ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَعَلُوا لَكُمْ فَأَخَشَوْهُمْ فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ويعم آلوكيل﴾^(٦) فأقبلوا بنعمة من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوءٌ وأتبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيمٍ ﴿١٧٤﴾^(٦). وبعبارة أخرى يؤكد الله عز وجل في القرآن الكريم كن متفائلاً دائماً.. ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٧) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٧).

- (١) رواه البخاري في كتاب الطب، باب الطيرة ج ٧ ص ١٣٥ رقم ٥٧٥٤
- (٢) رواه مسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم ج ٤ ص ١٧٤٦ رقم ٢٢٢٤.
- (٣) موسوعة نظرة النعيم ج ٣ ص ١٠٤٦.
- (٤) يونس الآية ٥٨.
- (٥) آل عمران: ١٣٩.
- (٦) آل عمران الآية ١٧٣ - ١٧٤.
- (٧) الشرح الآيات ٥ - ٦.



وقد اطلعت على دراسة في جامعة بيتسبورج منشورة عبر الشبكة، درس الباحثون فيها معدلات الوفاة والظروف الصحيّة المزمّنة بين المشاركات في دراسة (مبادرة الصحة للنساء) والتي تتبعت أكثر من مائة ألف امرأة تتراوح أعمارهن بين ٥٠ عام وأكثر، منذ عام ١٩٩٤م وكانت النساء اللاتي يتسمن بالتفاؤل أقل احتمالاً بواقع ١٤٪ للوفاة لأي سبب مقارنةً بالمتشائمات.. وأقل احتمالاً بنسبة ٣٠٪ للوفاة من أمراض القلب، بعد ثماني سنوات من المتابعة في هذه الدراسة... وكانت المتفائلات كذلك أقل احتمالاً للإصابة بارتفاع ضغط الدم والبول السكري أو الإقبال على تدخين السجائر^(١).

وما أجمل المسلم المتفائل حينما يتّوجّح بتفاؤله بالتوكل على الله تعالى، وها هو القرآن الكريم يؤكد هذا المعنى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢).

أشير إلى أن آيات التوكل في القرآن الكريم، وأنه سبحانه هو الوكيل، وهو نعم الوكيل سبحانه، قد بلغت حوالي اثنتين وخمسين آية^(٣). منها قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٤). ومنها قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٥). ومنها قوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٦). والتوكل هو: صدق الاعتماد على الله، في استجلاب المصالح ودفْع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وكيِّلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان

(١) دراسة منشورة عبر الشبكة.

(٢) الطلاق الآية ٣.

(٣) موسوعة نظرة النعيم ج ٤ ص ١٣٨٨.

(٤) آل عمران الآية ١٥٩.

(٥) الأحزاب الآية ٣.

(٦) آل عمران الآية ١٥٩.



بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه^(١).

ولقد نص العلماء رحمهم الله على أن للتوكل مواطن، وهو مطلوب في كل شؤون الحياة، ومن ضمن تلك المواطن في القرآن الكريم ما يلي: إذا طلبتم النصر والفرج فتوكلوا عليه.. ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢). وإذا أعرضت عن أعدائك فليكن رفيقك التوكل.. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣). وإذا أعرض عنك الخلق فاعتمد على التوكل على الله.. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٤). وإذا تلي عليك القرآن أو تلوته وأردت الانتفاع به في خضم الحياة وزيادة إيمانك فاستند إلى التوكل ﴿وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَابَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٥). وإذا طلبت الصلح والإصلاح بين قوم لا تتوصل إلى ذلك إلا بالتوكل.. ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٦). وإذا وصلت قوافل القضاء فاستقبلها بالتوكل.. ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٧). وإذا نصبت الأعداء حبالات المكر فادخل أنت في أرض التوكل.. ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَّقُوا اللَّهَ يَنْصُرُوا لَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٨).

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص ٤٠٩.

(٢) آل عمران الآية ١٦٠.

(٣) النساء الآية ٨١.

(٤) الأنفال الآية ٢.

(٥) التوبة الآية ١٢٩.

(٦) الأنفال الآية ٦١.

(٧) التوبة الآية ٥١.



بِعَايَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً
ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾^(١). وإذا عرفت أن مرجع الكل إلى الله،
وتقدير الكل فيها لله فوطن نفسك على فرش التوكل . ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢). وإذا علمت أن الله هو الواحد على الحقيقة،
وهو المالك لهذا الكون فلا يكن اتكالك إلا عليه ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾^(٣). وإذا كانت الهداية والسعادة من الله فاستقبلها
بالشكر والتوكل ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى
مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٤). وإذا داهمك الخوف، وخشيت
بأس أعداء الله والشيطان والغدار، فلا تلجئ إلا إلى باب الله وعليه توكل
﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٥).

وإذا أردت أن يكون وكيلك الله في كل حال فتمسك بالتوكل في كل
حال.. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٦). وإذا أردت أن يكون الفردوس
الأعلى منزلك فانزل في مقام التوكل.. ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
﴿٤٢﴾﴾^(٧). وإن شئت أن تنال محبة الله فانزل أولاً في مقام التوكل.. ﴿تَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٨). وإذا أردت أن يكفيك الله كل شيء،
وتحصل على كل شيء من خالق السماء والأرض ومالك الملك فعليك

(١) يونس الآية ٧١.

(٢) هود الآية ١٢٣.

(٣) الرعد الآية ٣٠.

(٤) إبراهيم الآية ١٢.

(٥) النحل الآية ٩٩.

(٦) الأحزاب الآية ٣.

(٧) النحل الآية ٤٢.

(٨) آل عمران الآية ١٥٩.



نحو استقامة فكرية وحياتية



بالتوكل.. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١)(٢)، أي كافي.

حقاً ما أحوج الأمة اليوم إلى هذه المعاني!، وترسيخها في النفوس، فلنبداً بأنفسنا وأسرنا ومجتمعاتنا.

ثانياً: التغيير يبدأ من الداخل: كثيراً ما يركز علماء التنمية البشرية على قضية التغيير وتطوير الذات من الداخل، والبدء بتغييرها نحو الأفضل. وبالتأكيد فإنه ما لم يكن هناك شعور بالحاجة إلى التغيير فلن يكون هناك تغيير إلا ما شاء الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٣).

إذا غيّرت نفسك من المعصية إلى الطاعة من الأسوأ إلى الأحسن غيّر الله حالك من الضلال إلى الهداية وإلى الرحمة.

وقد ذكر ابن كثير رحمته الله أنه: ورد بهذا المعنى حديث مرفوع ثم ساق سنده إلى عمير بن عبد الملك قال: خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر الكوفة قال: كنت إذا أمسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدأني، وإذا سألته عن الخبر أنبأني، وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال: «قال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي، ما من قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي»^(٤).

(١) الطلاق الآية ٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ج ٢ ص ٣١٣-٣١٥. وموسوعة نظرة النعيم ج ٤ ص ١٣٨٠، بتصرف.

(٣) الرعد الآية ١١.

(٤) تفسير ابن كثير ص ٨٣٣، قال ابن كثير: وهذا غريب وفي إسناده من لا أعرفه.



ويقول ابن كثير رحمه الله أيضا في تفسير آية الأنفال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلُّ كَاذِبٍ ظَلَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾^(١).

يقول رحمة الله: يخبر الله تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، كدأب آل فرعون أي: كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته أهلكتهم بسبب ذنوبهم، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم، من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين، وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين^(٢).

إذا فالخطوة الأولى قبل أن نغيّر الأشياء المكروهة في أنفسنا نغيّر الأشياء المحرمة، فنترك ما يغضب الله عز وجل فبالتأكيد ستحسن أحوالنا - أوليس الله تعالى يقول ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾^(٣).

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون.

إن لله تعالى سننا لا تتغير ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾^(٤)، وهذا عهد الله ومن أوفى بعهد من الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٥)، فلنبدا مرحلة التغيير إلى الأحسن.

(١) الأنفال الآية ٥٣ - ٥٤.

(٢) تفسير ابن كثير ص ٦٩٨.

(٣) آل عمران الآية ١٦٥.

(٤) الفتح الآية ٢٣.

(٥) الرعد الآية ١١.



ولسائل أن يسأل كيف أبدأ مرحلة التغيير!؟

والإجابة في كتاب الله واضحة، إنها المجاهدة والتعود والتكرار، فكل أمر ليس فيك جبلياً تستطيع أن تجعله مكتسباً بالمجاهدة و التكرار والإصرار.

خذ مثلاً: الصبر.. يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١). فقولته "وصابروا" يوحي إليك أن تلتزم بمجاهدة النفس وتعويدها على هذا الخلق العظيم، ولهذا كان الصبر بالتصبر... ومع المجاهدة والتعود والتكرار تستطيع أن تكتسب الخلق العظيم أيضاً بالانتماء إلى أهله، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا نَضْحَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (٢).

ثالثاً: الدعاء: اطلب ممن يملك خزائن السموات والأرض - سبحانه أخذ العهد على نفسه أن يجيب طلبك ودعواتك.. وها هو سبحانه في كتابه المنزل يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٣).

ما عليك بعد التفاؤل والتوكل عند عزم أي أمر من الأمور، أو عند القيام بنهضة لنفسك أو لأمتك إلا أن تدعو الله الذي بيده مفاتيح السموات والأرض... أظهر غاية التذلل إلى الله والافتقار له والاستكانة

(١) آل عمران الآية ٢٠٠.

(٢) الكهف الآية ٢٨.

(٣) البقرة الآية ١٨٦.



له^(١). قال المناوي: الدعاء هو لسان الافتقار بشرح الاضطرار. وقيل: هو شفيع الحاجة ونُجْحُهَا بِاللِّجَاجَةِ^(٢).

وللمشكك في فعالية الدعاء.. يقولها الله صريحة.. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٣).

أو يخطر على بال أن أكرم الأكرمين سيرد من دعاه كيف ذلك؟ وقد استجاب للمشركين الذين أخطأوا في حقه أشد الخطأ فأشركوا معه غيره.. ومع ذلك استجاب لهم ونجاهم إلى البر ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجُّ كَالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَدْتُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمَنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾^(٤).

وفي آية أخرى يقول سبحانه ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَدْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٥).

فما أحلمه عنهم !! وما أكرمه لهم !! سبحانه.

وأين الأمة من هذا الحديث الذي قال فيه ﷺ: «ما على الأرض من مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»، فقال رجل من القوم: إذا نكث، قال: «الله أكثر»^(٦).

(١) مأخوذة من عبارات الطيبي رحمه الله، فتح الباري ج ١١ ص ٩٥.

(٢) موسوعة نظره النعيم ج ٥ ص ١٩٠٣.

(٣) غافر الآية ٦٠.

(٤) لقمان الآية ٣٢.

(٥) العنكبوت الآية ٦٥.

(٦) رواه الترمذي في أبواب الدعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك وقال حديث حسن صحيح ج ٥ ص ٥٦٦ رقم ٣٥٧٣.



وعمرُ ﷺ لما فقه هذا المعنى قال: إني لا أحمل همَّ الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وأيضاً فالواقع المشهود يدل على ذلك، وقد أخبر سبحانه في مثل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) ﴿٢﴾. وقوله تعالى ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ دَهَبَ مُغَضِّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) ﴿٣﴾ فاستَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴿٤﴾. وقوله تعالى ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ﴾ (١٧) ﴿٥﴾. وقوله عن زكريا عليه السلام ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩) ﴿٦﴾ فاستَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴿٥﴾... إلى آخر كلامه النفيس في ذلك^(٦).

اطلب تعط وتحرّ مواطن الإجابة... وألح في ذلك.. وثق من داخل شعورك الإنساني، وسترى النتيجة بإذن الله.

- (١) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج ٨ ص ١٩٣
- (٢) الصافات الآية ٧٥.
- (٣) الأنبياء الآية ٨٧ - ٨٨.
- (٤) النمل الآية ٦٢.
- (٥) الأنبياء الآية ٨٩ - ٩٠.
- (٦) دقائق التفسير لابن تيمية ج ٢ ص ٥١٧، ٥١٨.



رابعاً: التخطيط والاستشراف المُشرق:

كثيراً ما يتحدث علماء التنمية البشرية عن أهمية الوضوح.. وضوح الرسالة والرؤية والأهداف.. والتخطيط وبذل الأسباب للوصول إليها، سواءً كان ذلك في حياة الفرد العادي، أو مؤسسات المجتمع المختلفة. ويرى العلماء من خلال دراسات أُعدت أن نسبة الذين يخططون لحياتهم لا تصل ٣٪ من مجموع الناس كُلاًها، وأن هذه النسبة القليلة هي التي تقود المجتمعات في مجالات الحياة المتنوعة.

وفي دراسة أعدتها جامعة هارفارد الأمريكية عام ١٩٧٠م سألوا فيها مائة طالب عن خططهم في المستقبل، وما إذا كانت لديهم خطط واضحة، ثلاثة فقط بالمائة أجابوا بالتفاصيل عن خططهم المستقبلية، أما البقية فلم يعرفوا ما الذي يريدون تحقيقه بعد.. بعد عشرين سنة قامت الجامعة بالبحث عن المائة طالب.. فوجدوا أولئك الثلاثة بالمائة الذين خططوا.. يملكون أكثر من ٩٠٪ من ممتلكات المائة كلهم^(١).

إذاً من أسباب النهوض بالأمة على مستوى الأفراد والمؤسسات التركيز على رسالتها ورؤيتها وأهدافها.

يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾^(٢)، ففي هذه الآية دعوة للدولة الإسلامية، إلى العمل والتخطيط والاستعداد بالقوة لمواجهة أمر مستقبلي، قد يحدث لدار الإسلام، أو أمن الدولة بالاعتداء عليها مستقبلاً وهذه الآية تمثل أساساً لنظرية "الردع الإسلامي".

(١) كيف تخطط لحياتك، د. صلاح الراشد.

(٢) الأنفال الآية ٦٠.



نحو استقامة فكرية وحياتية



ويقول سبحانه: ﴿وَابْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١)، ففي هذه الآية توجيه للإنسان للاستشراف في حال الحياة الدنيا ليوافقه بها مصير الآخرة.

ويقول سبحانه في قصة يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَعِ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾^(٢٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾^(٢٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾^(٢٩).

والآيات تأويل يوسف عليه السلام لرؤيا الملك، ومنها توجيه للإنسان لكي يخطط لحماية الدولة مستقبلاً لما قد يحدث لها، والعمل على تفادي وقوع المخاطر في المستقبل وكذلك الأزمات والنكبات التي قد تحدث بالأمّة، وذلك عن طريق الاستشراف لهذه المخاطر يمكن تفاديها أو التقليل من أثارها^(٣). تلك رسائل قرآنية هامة... لنقل الأمّة إلى التخطيط. وتخيل في نفسك فرداً متفائلاً.. متوكلاً.. يؤمن بأن التغيير يبدأ من الداخل.. ملحاً على الله بالدعاء والطلب.. لديه وضوح رؤية ورسالة وأهداف.. كيف سيكون؟! وأمة هكذا أفرادها كيف ستكون؟!!

خامساً: العمل سر السعادة والنجاح:

إن ارتباط السعادة و النجاح بالعمل في القرآن الكريم ليس مقصوراً على الدار الآخرة وحدها، بل يجري الجزاء في الدنيا.. فمن سنن الله تعالى أن الله يعطي كل عاملٍ مجداً ثمرة عمله، فالطالب أو المدرس أو

(١) القصص الآية ٧٧.

(٢) يوسف الآية ٤٧ - ٤٩.

(٣) استشراف المستقبل، أ.د. رضا وهدان ص ٢٠.



وسائل الثبات وعدم الاضطراب الحياتي والفكري

١٣٣

الصانع أو التاجر يدعوه دينه إلى أن يكون عاملاً مثابراً مخلصاً متقناً لعمله، لأن الله يُحِبُّ إذا عمل أحدنا عملاً أن يتقنه، والقرآن الكريم أكد هذه الحقيقة. ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) (١)، ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٢).

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) (٣).

يقول الشيخ السعدي رحمته الله: أي هو الذي سخر لكم الأرض، وذلكها لكم لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم من غرس وبناء وحرث وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة (فامشوا في مناكبها) أي لطلب الرزق والمكاسب (٤) .. ا. هـ.

وفي أحكام القرآن الكريم للجصاص: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (٥)، أي يجد في الأرض متسعاً سهلاً كما قال الله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (٦).

فمرغم وذلول متقاربان في المعنى. وقيل في (المراغم): ما يُرْغِمُ به من كان يمنعه من الهجرة وأما قوله: (وسعه) فإنه روي عن ابن عباس

(١) القصص الآية ٧٧.

(٢) هود الآية ٦١.

(٣) الملك الآية ٣.

(٤) تفسير السعدي ج ١ ص ٨٧٧.

(٥) النساء الآية ١٠٠.

(٦) الملك الآية ١٥.



والربيع بن أنس والضحاك أنه: السعه في الرزق... (١).

ومما يؤكد لذلك أيضاً أن الله تعالى في القرآن الكريم قرن العمل بالجهاد.. فقال تعالى ﴿وَأَخْرُونَ يَصْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاخْرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢).

وقد فُسر الضرب بالتجارة (٣) والتجارة تُعد من أصول الأعمال المهنية والفنية، بل إن الله عز وجل قرن العمل لأهميته بالصلاة والحج كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (٤).

وفسر بعض العلماء (المنافع في الحج) في قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنْفَعَ لَهُمْ﴾ (٥) بأنها الأجر في الآخرة، والتجارة في الدنيا. بل إن الله تعالى في القرآن الكريم قدّم لنا القدوة والمثل الأعلى على الاهتمام بالعمل وبين شرفه حتى إن الله تعالى جعل العمل نوعاً من الشكر، لأنه به تتحقق فائدة ما أنعم به وما أوجده في هذا الكون قال تعالى ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦).

ولقد لفت نظري عند قوله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (٧).

(١) أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢٢٨.

(٢) المزمّل الآية ٢٠.

(٣) أضواء البيان للشنقيطي ج ١ ص ٨٩.

(٤) الجمعة الآية ١٠.

(٥) الحج الآية: ٢٨.

(٦) سبأ الآية ١٣.

(٧) المعجم الأوسط للطبراني ج ١ ص ٢٧٥. والحديث ذكر له الألباني شواهد حسنة في السلسلة الصحيحة ج ٢ ص ١٠٢.



أن أهم أسباب نجاح الصناعات الحديثة في بعض الدول وتفوقها على غيرها اهتمامها بمراقبة الجودة النوعية، ثم انتشار وجود قسم متخصص في كل مصنع لمراقبة جودة الإنتاج، واستبعاد أي قطعة ليست في غاية الإتقان، ثم عقد اجتماعات دورية للجان الجودة النوعية لاقتراح ما يروونه مناسباً لتحسين نوعية المنتجات، بل تطّور الأمر بعد إلى إيجاد فريق متابعة الجودة خارج المصنع، وذلك لاكتشاف أي خلل أو قصور في أية سلعة، واستبدالها وتعويض المستهلك عن أي خسارة تحملها نتيجة لذلك، وقد أوجدت تلك الدول جائزة سنوية تمنح للشركات التي تحقق أعظم تحسن في الجودة والنوعية، ولأهمية ذلك فقد أنشئت رابطة دولية لحلقات مراقبة الجودة النوعية^(١)

سادساً: الوفرة والعطاء:

يقول أحد المتخصصين في التنمية البشرية: "إن هناك قانوناً اسمه (قانون الوفرة) والذي ينص على أن الدنيا مليئة بالعطايا وأنها خلقت لتعطي من يُعطي...".^(٢) نعم لقد سخر الله هذا الكون بما فيه، وسخر تغني في اللغة: كلفه بالعمل بلا مقابل، وتأتي كلمة التسخير بمعنى: التذليل. ولقد اطلعت سريعاً على آيات التسخير لنا فوجدتها قد بلغت نحواً من ثلاثين آية^(٣)... تلك غير الآيات التي من أمثال قوله

(١) التقنية والعمل الدعوي للصغير ص ١٥ / ١٦، دار الأثير.

(٢) قانون الجذب للراشد ص ٢٢. وللتنبية فهذا الكتاب نختلف معه في بعض الأفكار الفكرية والعقدية ليس هذا مجال بسطها.

(٣) ولولم يرد إلا قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٣) سورة الجاثية . لكفى.



تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١). فسبحان من عنده خزائن السموات والأرض، هذا الذي سخر لنا الكون هو سبحانه من قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢). ومن قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَهُوَ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(٣). وهو من قال: ﴿إِنَّ الْمَصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعِفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(٤). وهو من قال: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٥). والمضاعفة ليس لها حد... ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٦).

وهذه المضاعفة لهم في الدنيا والآخرة لأن العبرة بعموم اللفظ. ويؤيدها حديث النبي ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»^(٧).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: "ذكروا فيه وجهين: أحدهما: معناه أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية، وهذا مدرك بالحس والعادة. والثاني: أنه وإن نقصت صورته كان في الثواب المرتب

(١) البقرة الآية ٢٩.

(٢) البقرة الآية ٢٤٥.

(٣) الحديد الآية ١١.

(٤) الحديد الآية ١٨.

(٥) التغابن الآية ١٧.

(٦) البقرة الآية ٢٦١.

(٧) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع ج ٤ ص ٢٠٠١.



عليه جبر لنقصه، وزيادة إلى أضعاف كثيرة" (١).

و أشير هنا إلى نقطة هامة، وهي أن العطاء قد لا يكون بالمال فقط بل بغيره أيضاً. خذ مثلاً بر الوالدين: فمن بر بوالديه برّه أبناؤه.. "برواً آباءكم تبركم أبناؤكم" (٢).

ويحدثنا الله تعالى في القرآن الكريم عن الخليل إبراهيم عليه السلام حينما تأدب وتلطف مع والده.. على ما كان والده من القسوة.. ما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن قال ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (٤١) (٣).. فرزقه الله عز وجل ولداً صالحاً إنه إسماعيل عليه السلام، الذي تأدب معه غاية التأدب عندما أعلمه أنه أمر بذبحه.. ﴿يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ (٤).

إننا حقاً بحاجة إلى تنمية الجود والعطاء والإحسان بين أفراد الأمة ليعود عليها بالأثر الطيب المبارك.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَهَى﴾ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ (٥).

سابعاً: الشكر والامتنان:

لقد أخبرنا رب البشرية كلها في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ج ١٦ ص ١٤١.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ١٧٠. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) مريم الآية ٤٧.

(٤) الصافات الآية ١٠٢.

(٥) الليل الآية ٥ - ١٠.



شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ (١).

فالشكر يزيد النعم.. كما أن الكفر يذهبها، هكذا كانت نصوص المفسرين إنها صريحة الدلالة... إنها عامة.. إن الزيادة في كل شيء.. في الصحة... في المال.. في الجاه.. في النصر.. في العز والرفعة.. في كل شيء.

قال ابن القيم رحمه الله: قرن الله سبحانه الشكر بالإيمان، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (١٤٧) (٢).

إلى أن قال رحمه الله: وعلق الله سبحانه المزيد بالشكر والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) (٣). اهـ.

كثيرة هي آيات الشكر في القرآن تزيد على الخمسين آية.. ويكفي أن الله تعالى وصف العظماء من خلقه بأنهم من الشاكرين. فنوح عليه السلام ﴿كَانَ عَبْدًا شَاكِرًا﴾ (٤). وإبراهيم عليه السلام ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١١٦) (٥). وأوصى الله موسى عليه السلام بقوله ﴿قَالَ يَمْؤُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَىٰ فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤) (٦)...

(١) إبراهيم الآية ٧.

(٢) النساء الآية ١٤٧.

(٣) إبراهيم الآية ٧.

(٤) الإسراء الآية ٣.

(٥) النحل الآية ١٢١.

(٦) الأعراف الآية ١٤٤.



ثامناً وأخيراً: المحافظة على ممتلكاتك المادية والعلمية والتعبدية:

وهذه تحتاج إلى تفصيل وتوضيح، وتكون بالتركيز على وسائل الثبات، فتثبيت النفس من رياح الشهوات والشبهات أمر خطير، يحتاج لوسائل جبارة تكافئ ضخامة المهمة وصعوبتها.

ومن رحمة الله عز وجل بنا أن بين لنا في كتابه، وعلى لسان نبيه، وفي سيرته ﷺ وسائل كثيرة للثبات، أستعرض بعضاً منها^(١):

أولاً: الإقبال على القرآن: القرآن العظيم وسيلة الثبات الأولى، وهو حبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، وقد نص الله على أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا الكتاب منجماً مفصلاً هي التثبيت، فقال تعالى في معرض الرد على شبه الكفار: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾^(٢).

ثانياً: الالتزام والمداومة على العمل الصالح: قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٣).

رابعاً: الدعاء: وقد سبق بيانه، ولذا نجد أن من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾^(٤)، وكان رسول الله ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ

(١) تراجع في هذا رسالة الشيخ محمد المنجد وسائل الثبات .

(٢) سورة الفرقان ٣٢

(٣) سورة إبراهيم: ٢٧

(٤) سورة ال عمران : ٨



نحو استقامة فكرية وحياتية



قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(١).

خامساً: ذكر الله: وهو من أعظم أسباب التثبيت؛ قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِكَةً فَآثَبُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢). فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد.

سادساً: لزوم منهج الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، أهل العقيدة الصافية والمنهج السليم واتباع السنة والدليل، والتميز عن أعداء الله ومفاصلة أهل الباطل..

سابعاً: ممارسة الدعوة إلى الله عز وجل: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(٣). والدعوة إلى المنهج الصحيح - ببذل الوقت، وكّد الفكر، وسعي الجسد، وانطلاق اللسان، بحيث تصبح الدعوة هم المسلم وشغله الشاغل - تقطع الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة. زد على ذلك ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق، والمعاندين، وأهل الباطل، وهو يسير في مشواره الدعوي؛ فيرتقي إيمانه، وتقوى أركانه، فتكون الدعوة بالإضافة لما فيها من الأجر العظيم وسيلة من وسائل الثبات، والحماية من التراجع والتقهقر، والله مع الدعاة يثبتهم ويسدد خطاهم والداعية كالطبيب يحارب المرض بخبرته وعلمه، وبمحاربتة في الآخرين فهو أبعد من غيره عن الوقوع فيه.

(١) رواه الترمذي في أبواب القدر، باب ماجاء في أن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن ج ٤ ص ٤٤٨ رقم ٢١٤٠، وابن ماجه في أبواب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ ج ٥ ص ٩ رقم ٣٨٣٣ وصححه المحقق الأرناؤوط في تحقيقه لابن ماجه.

(٢) سورة الأنفال: ٤٥

(٣) سورة الشورى: ١٥



ثامناً: الجلساء الصالحون.. البحث عن العلماء والصالحين والدعاة المؤمنين، والالتفاف حولهم معين كبير على الثبات. وقد حدثت في التاريخ الإسلامي فتن ثبت الله فيها المسلمين برجال، وتأمل ما قاله ابن القيم رحمته الله عن دور شيخه شيخ الإسلام في التثبيت: وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت بنا الظنون، وضاعت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه؛ فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. اهـ^(١).

وهنا تبرز الأخوة الإسلامية كمصدر أساسي للتثبيت، وإياك والوحدة فتخطفك الشياطين، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية. ومن يتأمل كثير من حياة المنحرفين فكراً قبل ظهور انحرافاتهم يجدهم غارقون في الوحدة!!

تاسعاً: الثقة بنصر الله وأن المستقبل لدين الله تعالى.. نحتاج إلى الثبات كثيراً عند تأخر النصر، حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَإِنَّهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾^(٢). ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثبت أصحابه المعذبين أخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن فماذا قال؟ قال: وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا

(١) الوابل الصيب لابن القيم ص ٤٨.

(٢) سورة ال عمران ١٤٨



نحو استقامة فكرية وحياتية

١٤٢

الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ^(١) .. فعرض أحاديث البشارة بأن المستقبل للإسلام على الناشئة مهم في تربيتهم على الثبات .

عاشراً: استجماع الأخلاق المعينة على الثبات: وعلى رأسها الصبر، ففي حديث الصحيحين: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٢) .

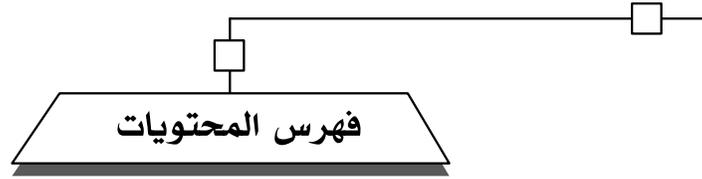
الحادي عشر: التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار وتذكر الموت: فالذي يعلم الأجر تهون عليه مشقة العمل، وهو يسير ويعلم بأنه إذا لم يثبت، فستفوته جنة عرضها السموات والأرض، ثم إن النفس تحتاج إلى ما يرفعها من الطين الأرضي ويجذبها إلى العالم العلوي. وكان النبي ﷺ يستخدم ذكر الجنة في تثبيت أصحابه، فقد مر بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون في الله، فقال لهم: «صبراً آل ياسر صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»^(٣) .

نسأل الله تعالى الثبات على الحق في الحياة والممات
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



- (١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ج ٤ ص ٢٠١ رقم ٣٦١٢
(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ج ٢ ص ١٢٢ حديث ١٤٦٩
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ج ٢٤ ص ٣٠٣ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات ج ٩ ص ٢٩٣.





- مقدمة ٥
- المبحث الأول:
- مقدمة حول الفكر ١٣
- أ / مفهوم الفكر في اللغة والاصطلاح ١٣
- ب/ مفهوم الأمن في اللغة والاصطلاح ١٤
- ج / الفرق بين الفكر و الثقافة والعلم ١٥
- د / مفهوم الأمن الفكري ١٦
- المبحث الثاني:
- الأمن الفكري كضرورة حياتية. ١٩
- المبحث الثالث:
- أسباب الانحراف الفكري ٢٥
- المبحث الرابع:
- فكر الابتداع في الدين ٥١
- المبحث الخامس "
- فكر التطرف والغلو ٥٩



- المبحث السادس :
٦٥..... فكر الإرجاء
- المبحث السابع :
٧١..... فكر الإلحاد
- المبحث الثامن :
أمثلة على قواعد فكرية منحرفة : تقديم العقل على النص.
٧٥..... تتبع الرخص
- المبحث التاسع :
٨٣..... منهج السلف في تلقي الأمور الفكرية والعقدية
- المبحث العاشر :
٩٣..... عوامل تعزيز الأمن الفكري
أ/ الاعتصام بالكتب والسنة. تأصيل مفهوم طاعة ولي الأمر
٩٣..... ولزوم جماعة المسلمين
- ب/ توطيد علاقة أفراد الأمة بعلمائها الربانيين ٩٩
- ج/ تأصيل الفتوى ١٠٣
- د/ تأصيل ضوابط حرية الرأي ١٠٨
- هـ/ تأصيل مفهوم الجهاد الحق ١١٢
- المبحث الحادي عشر :
١٢١..... وسائل الثبات على المنهج الفكري الصحيح
- فهرس المحتويات ١٤٣



هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة

www.alukah.net